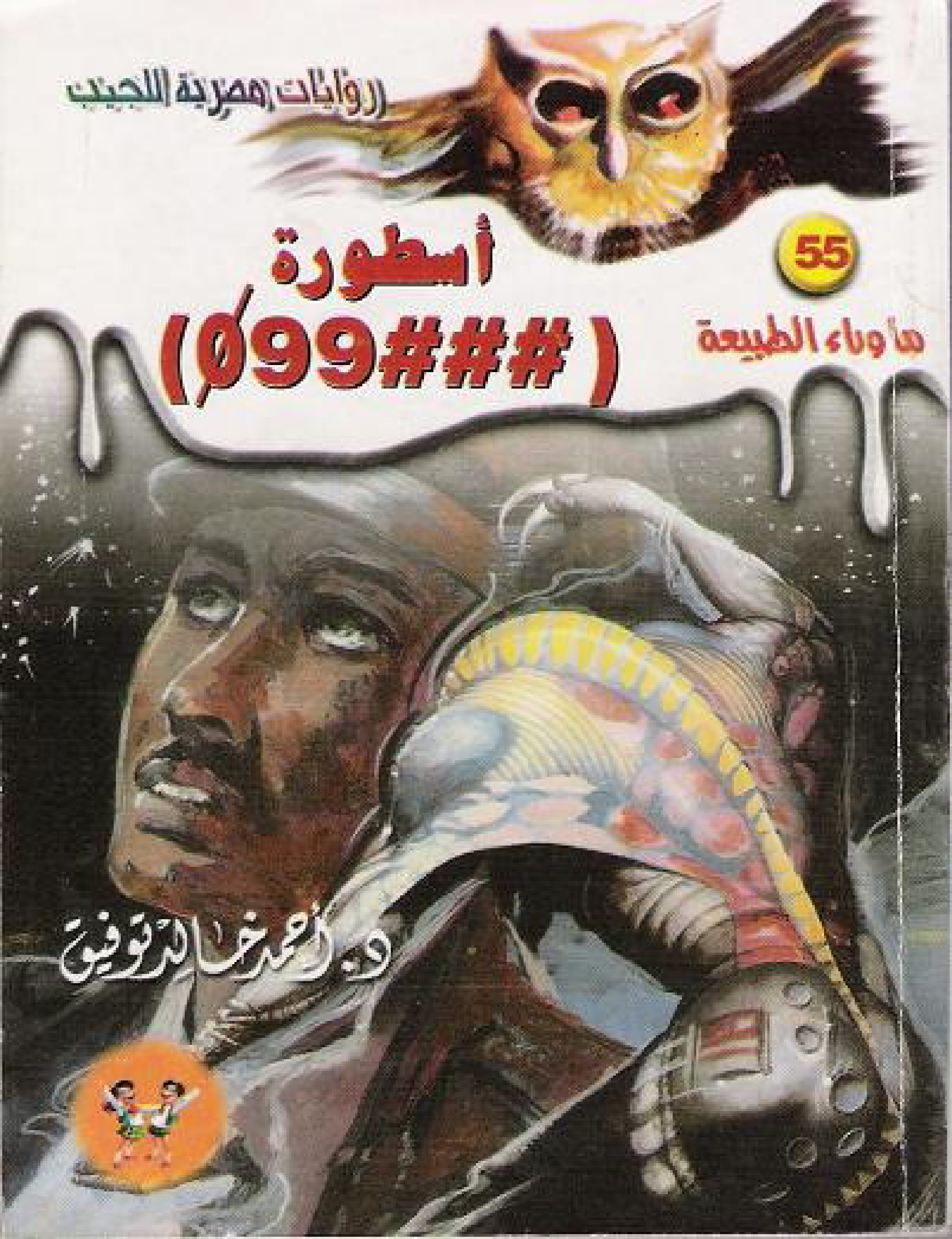

روايات مصرية للجيب
55
ما وراء الطبيعة
أسطورة
(Ø99###)
د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

ليس كل ما يلمع ذهبًا ..

هكذا قالوا قديمًا .. وأضيف أنا :

ليس كل من يعوى مذءوبًا ..

ليس كل من يخرج من تحت الأرض من الموتى الأحياء ..

ليس كل من يمشى بين القبور ليلاً مصاص دماء ..

ليس كل من يتحرك فى الردهة شبحًا ..

ليس كل أنين من الأرض المجاورة لدارك أنين نداهة أو (لاميا) ..

ليست كل قلادة غريبة النقوش تعويذة من القرون الغابرة ..

ليس ..

لأسباب كهذه يمكننا أن نظل أحياء ..

لأسباب كهذه نحتفظ بسلامة عقولنا ، ونأمل فى يوم آخر .

* * *

تذكرين يا (ريم) مناقشتى السابقة معك عندما حكيت لك قصة المنزل رقم (5)

قلت لى إننى أناقض نفسى حين أقول إننى لا أؤمن بوجود حياة على كواكب أخرى . ثم حكيت لك قصة طويلة عريضة تدور حول بيت كان سفينة فضاء .. الحقيقة هى أننى حكيت ما رأيت وما سمعت وإن كنت أعتبر هؤلاء القوم جاءوا من عالم آخر له مقاييس خاصة ، وليس بالضبط ما تتكلم عنه روايات الخيال العلمى ..

قلت لى إننى فقط أبحث عما هو غريب لأحكيه ، ومهما كانت قناعاتى الثابتة ..

قلت لى إننى أبدى أحيانًا آراء متعصبة سخيفة .. حين أتكلم عن اقتناعى التام بعدم وجود شىء هناك فى أجواز الفضاء ..

قلت لى إن الأمر صادر عن غرور تام ، إذا افترض أن الكون كله ليس سوى (تابلوه) مرسوم لنا نحن البشر كى نتأمله فى إعجاب ..

الحقيقة يا (ريم) أننى لم أجد حتى اليوم دليلاً على وجود كائنات أخرى ، وهناك ألف حجة وحجة تؤيد كلامى قالها علماء فلك لهم أسماء مهيبة .. لكن المنطق البسيط يقول : أين هى تلك الكائنات ؟ لماذا لم تظهر بعد تلك الملايين من الأعوام ؟ ماذا ينتظرون ؟ لدينا أدلة واهية على وجودهم لا تصمد لأى بحث علمى مدقق .. صور الأطباق الطائرة هى مجرد سحب مستديرة .. مخلوق (روزويل) يقول خبراء المؤثرات الخاصة إنه مزيف مصنوع من اللاتكس .. وغير هذا كثير ..

على كل حال أنا أنتهز الفرصة لأحكى لك قصة عن كائن من كوكب آخر !

أراك تلطمين الخد فى ذهول ولسان حالك يقول : لابد أنه مجنون ..

من جديد أقول إننى لا أصدق أو أكذب شيئًا ..

هذه الصفحات حصلت عليها بكيفية ما .. ولن أذكر تفاصيل هى سر شخصى يهمنى وحدى .. لكن أكتفى بالقول إنها تفريغ لرسالة ذهنية لم يكن من المفترض أن تقرأ أو تطبع أصلاً .. إنما هى تسرى عبر الأثير كالأفكار .. كالأحلام ..

أقرؤها عليك يا (ريم) كما هى دون تدخل منى .. وطبعًا من البديهى أننى لست المتكلم ، وأننى لا ألعب أى دور فى الأحداث لحسن الحظ ..

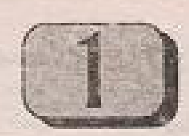
ربما تصدقين وربما تكذبين .. ربما تصدقين القصة وتكذبيننى أنا .. ربما تكذبين القصة وتصدقيننى أنا .. لا أدرى بالضبط ..

المهم أن تجديها مسلية .. وأن تريها جديرة بأن تعدى بعض الشاى عندما تصلين لمنتصفها ، فقط كى تؤخرى النهاية قليلاً ..

لو حدث هذا فأنا راض سعيد .. وسأعتبر نفسى قد نجحت ..

فهل تمنحيننى هذه المتعة ؟

* * *



إن التعود يقتل الرعب .. يقتل الغرابة .. يقتل القلق .. هكذا يقولون على الأقل ..

لكنى فى كل غروب أقف وأرمق الأفق الشرقى حيث تلتمع النجمة الأولى ، وأتساءل : كيف ؟ ما الذى جاء بى إلى هذا الكوكب الغريب المزعج ، الذى يسمونه الأرض ؟

* * *

تحية لكم جميعًا يا أهل (زيفرا) ..

لا أدرى حقًا إن كان سيكتب لهذه الرسالة الفكرية أن تصل إليكم .. ولا أدرى أصلاً إن كان هناك من يذكرنى بينكم أنا العميل (# # # 99 ∅) حسب لقب التدليل المختصر الذى كنت أنادى به حين كنت بينكم ؛ قبل أن يرسلنى مجلس الحكام إلى هذا الكوكب البدائى لدراسة ظروفه وقابليته للاحتلال من جانبنا ..

لابد أنهم نسوا من أنا ، ونسوا مهمتى من أساسها ، ولابد أننى أدرجت باعتبارى مفقودًا فى أثناء العمليات

فى ذاكرة (سيجورا) الأعظم .. لكن الأمل كائن أزلى يستحيل قتله ، ولهذا - برغم ما أنا فيه - مازلت آمل أن يتلقى أحدهم هذه الرسالة يومًا ما ويجىء لإنقاذى ، يومها سأقف لأؤدى فروض الولاء أمام (سيجورا) الأعظم وأقول :

- « تحية يا متكامل الدوائر .. لقد أديت مهمتى خير قيام .. لكن ذلك الكوكب قد استنفد موارده مبكرًا ولم يعد يصلح لسكنى أهل (زيفرا) .. وأرى أن ننساه ونبحث عن كوكب آخر .. »

عندها سيسألنى عن أسبابى ، ثم يحيلنى إلى التقاعد ، وعندها أنعم بالراحة الجزيئية الكاملة وهو الوضع الذى بدأنا الكفاح كى نصل إليه ..

* * *

ولكى أبدأ من البداية يجب يا إخوانى أن أحكى عن ذلك اليوم الذى استدعونى فيه .. كنت منهمكًا فى تطوير جهاز المعجل الأيونى مع (ب 9 أ 17 / !!! 18 Ø) ، وهو - كما تعلمون - أعظم عقل خرج من أنبوب

لقاح على كوكبنـا .. حين جاءنى مبعوث إليكترونى يقول لى أن أتوجه إلى مجلس الحكام حيث ينتظرنـى (سيجورا) الأعظم ..

الحق يا إخوانى أن الفزع تملكنى .. قليلة هى المرات التى يستدعى فيها مجلس الحكام واحـدًا من الرتبة (99 Ø) .. أنتم تعرفون أن هـذه مـن الرتب الدنيئة فى كوكبنـا ، ولا يُسمح لأفرادها عامـة إلا بالأعمال اليدوية ، فلو كنت من الرتبـة (18 Ø) لكنت أكثر اطمئنانًا ..

ومرتجف الأوصال كما لكم أن تتوقعوا دخلت إلى مجلس الحكام الذى يتصدره (سيجورا) الأعظم ..

مررت متوجسًا بين القوارير الزجاجية التى تحوى أمخاخ مجلس الحكام ، محفوظة فى محاليلها ، وكانت بعض القوارير تتوهج من حين لآخر بلون أزرق مخيف يدل على عمليات عقلية معقدة تجرى بداخلها .. مسيكات عديدة مرت على هذه العقول وهى تمارس

هذا العمل (المسيكات هى وحدة زمنيـة ما .. لهذا سأترجمها بـالأعوام أو الساعات حسب موقعها من الكلام : المترجم) ..

وفى النهاية وقفت أمام العقل الأعظم (سيجورا) الذى لا يكف عن التوهج وإطلاق الشرر ، وهو يسبح فى محلولـه الحافظ ، ومئات الأسلاك تدخل وتخرج إليه ..

قلت بفكر مبحوح من الرهبة :

ـ « تحيـة يا متكامل الدوائـر .. أنـا أتسـاءل عن حقيقتى .. »

والتساؤل عن الحقيقة ـ كما تعلمـون ـ هو أخطر جريمة فى عالمنا .. ربمـا كـان هو الجريمة الوحيـدة .. تعلمنا منذ الصغر أنه من الخير لنـا أن نتجاهل هذه الأمور التى تقود إلى الضلال ، و(سيجورا) الأعظم يعرف .. فى كل الأحوال يعرف من فعل ذلك ومتى .. وعندها يكون العقاب صارمًا .. إن العذاب الجزيئى

لهو شر مستطير لايمكن وصفه .. ربما أعترف بينى وبينكم أن بعض الخواطر السامة جالت بفكرى فى بعض الأوقات لكنى كنت أتجاهلها وأحاول جاهدًا أن أسمو بفكرى فوقها ..

ترى هل (سيجورا) الأعظم استدعانى ليعاقبنى على أفكار كهذه مرت عليها أعوام ؟

دوى صوته المتحشرج الشبيه بالتجشؤ فى فكرى صافيًا رائقًا :

ـ « نعرف هذا يا (### 99 ∅) .. (سيجورا) يعرف كل التفاصيل .. نحن بحاجة إليك فى مهمة استكشافية .. وتقارير الأداء الحيوى تقول إنك الأفضل .. »

لم أدر ما أقول .. ترى أية مهمة هذه ؟

أنا الأفضل ؟؟ أفضل فى أى شىء بالضبط ؟

* * *

قلت كما ينبغى لمثلى أن يقول :

ـ « هذا شرف عظيم يا متكامل الدوائر .. أية مهمة هذه ؟ »

وهنا رأيت الصورة ثلاثية الأبعاد تتجسد فى فضاء القاعة .. كانت تمثل مستنقعًا تتصاعد منه الأبخرة ، وفيه يتحرك وحش عملاق له عنق طويل وذيل أطول ، وجوار المستنقع كان هناك وحش آخر يمشى على قدميه الخلفيتين ، ويطلق زئيرًا مروعًا من بين أسنان حادة ..

قال (سيجورا) الأعظم :

ـ « أنت تعرف يا (# # # 99 ∅) أن موارد كوكبنا تنفد بسرعة .. لم يعد هناك ما يكفى من الأكسجين والنتروجين للحياة العضوية .. لم يعد ما يكفى من معادن للصناعة .. شمسنا دخلت مرحلة (الإنتروبى) مهددة بالخمود النهائى .. لهذا صار من واجبنا البحث عن كوكب بكر آخر لاستيطانه .. »

ولثوان ساد الصمت ، وواصل الشرر المتصاعد من المحلول انبعاثه ، ثم جاء الصوت الفكرى المتحشرج :

ـ « هذا الكوكب هو أحد كواكب مجموعة شمسية فى مجرة (أركانيا) .. علماؤنا يسمونه (هيسا) .. يوجد فى هوائه قدر لابأس به من الأكسجين والنتروجين .. عليه كما ترى حياة نباتية وحيوانية ، وبالتالى هو يناسب حياة أهل (زيفرا) .. هذه الصور وصلتنا بالسيال الضوئى منذ أيام ، وكما ترى لم يصل هذا الكوكب لمرحلة أبعد من الديناصورات التى كانت على ظهر كوكبنا من ملايين السنين .. وإلى هذا الكوكب سنرسلك كى تدرس إمكانية الاستيطان .. نحن نعرف الكثير جدًا عن ذلك الكوكب لكن لابد من قدم من عالمنا تمشى فوقه .. ربما كان هناك خطأ ما فى حساباتنا .. »

هنا تساءلت وقد عنّ لى خاطر ما :

ـ « هل هذا الكوكب بعيد ؟ »

ـ « ملايين السنوات الضوئية .. »

ـ « ولكن هذا يعنى أن السيال الضوئى قد خرج

من ذلك الكوكب من ملايين السنين ، وقد استغرق أعوامًا لا حصر لها كى يصل إلينا .. بمعنى آخر : لقد تطور ذلك الكوكب ملايين السنين بعد هذه الصورة .. »

هنا أقسم أننى ميزت رنة غضب فى صوت (سيجورا) الأعظم ، وإن كان هذا مستحيلاً لأنه من الحكمة بحيث لايستطيع الغضب الوصول إليه :

ـ « أنت (99 ∅) .. وبالتالى ليس من حقك التفكير .. التفكير هو ما يقوم به الحكماء وذوو الرتبة (18 ∅) .. كل ما عليك هو أن تنفذ ما تؤمر به .. وعلى كل حال دعنى أؤكد لك أن هذا الكوكب لم يتطور .. كل الدراسات تؤكد أنه خلق لتحكمه الديناصورات .. والديناصورات يسهل إبادتها .. ستكون معك قدرتك على التحور المورفولوجى والإحلال ، وهذا يعنى أنك ستكون فى أمان .. »

ولم أجد أمامى مناصًا من الرضوخ .. إن (سيجورا) الأعظم ليس من رتبة يمكن الجدال معها .. لكنه كان مخطئًا ..

عرفت هذا فيما بعد .. ودفعت ثمنًا فادحًا بسبب هذا الخطأ ..

وهو درس لم أنسه حتى اليوم .. حتى العقول المجردة العظمى متكاملة الدوائر ترتكب أخطاء من حين لآخر ..

* * *

2

وفى اللحظات التالية أخبرنى ذوو الرتبة (18 ∅) تفاصيل مهمتى الجاسوسية .. جاسوسية على كوكب لاتسكنه سوى زواحف هائلة .. سيكون على أن أتأكد من أن كل شىء كما تخيلوه بالضبط .. ألتقط سيالات ضوئية .. آخذ عينات من التربة والهواء وكل شىء ثم أعود .. فلو كانت نتائج رحلتى إيجابية ؛ عندها يصدر أمر الانتقال الجماعى لحضارتنا إلى الكوكب (هيسا) ، ولسوف نحتاج إلى ميسيكات عديدة حتى نتمكن من أن نبيد حضارة الديناصورات ، ونبنى بيوتنا وشوارعنا ومدننا .. لن يكون أمرًا شاقًا لكنه بالتأكيد لن يكون سهلاً ..

من يبالى على كل حال مادام مجلس الحكماء معنا ومعهم (سيجورا) الأعظم ؟ إن المرء ليشعر باطمئنان مادام قادرًا على ترك مسئولياته فى أيدى عقول كهذه ..

وجاء الموعد المحدد لرحيلى ..

دخلت جهاز التحويل وتأكدت من أننى أحمل سلاح (زيتا) الرهيب حول معصمى، وهو كما تعلمون أخطر أسرارنا الحربية وقادر على تحويل جيش كامل إلى غبار، وتأكد العلماء من أن قدرتى على التحول المورفولوجى كاملة .. كانوا قد عرضوا علىّ بعض صور الديناصورات، فاخترت أحدها كى أتحول لما يشبهه وقت الخطر .. إنه ضخم قوى لا يغرى بمهاجمته ..

نصحنى العلماء بأن أكون مستعدًا للرحيل خلال مائة من المسيكات .. إن الشعاع سيمتصنى عائدًا إلى (زيفرا) سواء أنهيت مهمتى أم لم أنهها .. هذا يروق لى لأننى لم أحب قط أن أقضى حياتى وحيدًا على كوكب يعج بالعظايا ..

وأغلقوا على الباب المائى، وبدأت تيارات (زيكسا) تؤدى عملها .. هذا المشهد الخالد الذى يعرفه كل سكان (زيفرا) .. مشهد انتقال الجزيئات عبر الزمان والمكان ..

وكانت رحلة طويلة حقًا استغرقت ثلاث لحظات، أو ربع ساعة حسب مقاييس ذلك الكوكب الذى اتجهت نحوه .. هذا طبيعى! إن المرء لا يقطع ملايين السنوات الضوئية بالسرعة التى اعتادها على كوكبه ..

ولا أذكر من تفاصيل الرحلة إلا ضوءًا يتوهج وينطفئ بلا انقطاع، مما جعلنى أفضل إغلاق عينى .. وفى النهاية سمعت الخلية البيولوجية تهنئنى بالوصول، ففتحت عينى وأخذت شهيقًا عميقًا ..

مرحبًا بى فى كوكب (هيسا) !

* * *

كانت هناك حديقة رائعة الجمال، تستلقى فى ظلام الليل، وثمة مسبح تتلألأ عليه أضواء كهربية هادئة .. هذه أشياء أعرفها لأن أصحاب الرتبة (67 **) فى كوكبى - وهم المكلفون بإنتاج القصائد والرسوم والموسيقا - يعيشون فى بيئات مماثلة ..



كان حار الدماء يغطيه الشعر الأسود ، يمشي على أربع ، ويدور حولي في عصبية مرددا أصواتا مثل (هو هاو هاو !) ..

لكن ما علاقة هذا بما كنت أتوقع أن أراه ؟ : الديناصورات والمستنقعات والبراكين الوليدة ؟

هل حدث خطأ ما ؟ بالتأكيد ليس هذا هو العالم الذى جاءنا سياله الضوئى .. هذا الكوكب ليس بكرًا كما حسب (سيجورا) الأعظم ..

من الغريب أن يجد المرء نفسه محقًّا .. والأغرب أن يكون محقًا أمام (سيجورا) الأعظم . لكنى لم أجرؤ على أن اعترف لنفسى بشىء كهذا ..

ورحت أفتش بعينى عن شىء يتحرك ..

كان هناك مخلوق حى .. لم يبد لى ديناصورًا ، ولم يبد لى ذا تفكير عاقل .. كان حار الدماء يغطيه الشعر الأسود ، يمشى على أربع ، ويدور حولى فى عصبية مرددًا أصواتًا مثل (هو هاو هاو !) .. كان يريد إيذائى جسديًا ..

لم أكن أستطيع قتله لذا لجأت لأسلوب الإحلال الذى يمارسه أى طفل فى كوكبنا ببراعة .. حولت

ذراتى إلى طاقة .. كل شىء داخل أو حول جسدى تلاشى ، وحتى سلاح (زيتا) الرهيب المحيط بمعصمى ذاب معى .. ثم تسربت إلى كيان الكائن واحتللته .. الآن صار تفكيره تفكيرى ، وحركاته حركاتى .. يمكننى أن أتحرك به فى المكان وأعرف أين أنا ..

لقد حان الوقت لتصحيح معلوماتى عن (هيسا) ..

رحت أستكشف المكان وأنا فى أعطاف ذلك الكائن .. المكان عبارة عن مجموعة من الأشجار التى لم تنبت بفعل الطبيعة فقط .. ثمة سور حديدى يحيط بنطاق الأشجار ، ومبنى فى المنتصف لايشبه مبانينا على الإطلاق .. إن سكان (هيسا) ليسوا ديناصورات .. بل هم أناس متقدمون إلى حد ما .. ترى هل وصلوا إلى درجة علمنا ؟ لا أظن .. لا يوجد ما يشى بتقدم علمى فى هذا المكان ..

- « (دانى) ؟ هل أنت هنا ؟ »

سمعت الصوت .. واندهشت لأننى ميزت اللغة

الغريبة ، ثم فطنت إلى أننى سمعت الأفكار قبل أن أسمع الصوت .. الأفكار لا لغة لها ويمكن فهمها بسهولة ..

كان علىّ أن أكون طبيعيًا .. لايجب أن تفشل مهمتى بهذه السرعة ..

* * *

كان الكائن المتكلم دانيًا من مكانى ، وواضح أنه يخاطب الكائن الذى أتحرك داخله .. وعرفت أنه ينظر له باعتباره (حيوانًا) وللدقة أكثر (كلبًا) .. لا أعرف معنى هذا لكن من الواضح أن الكلب له منزلة اجتماعية أدنى هاهنا ، وتأملت ذلك الكائن الغريب .. نموذج ساكن (هيسا) الحديث ..

كان مختلفًا إلى حد ما عن سكان (زيفرا) ؛ فالرأس صغير ومغطى بالشعر الطويل الناعم الذى ينسدل على جانبى الرأس .. أنتم تعرفون أن أمخاخنا متضخمة تعلو رءوسنا فى شكل قبة هائلة ، وأن هذه القبة تظهر كل تضاريس الدماغ ولا يغطيها شىء .. بالإضافة لهذا كانت الأطراف أقوى وأضخم من أطرافنا .. يبدو أنّ هؤلاء الناس قد اعتادوا العمل

اليدوى الثقيل .. ولم يكن لهم ـ تصوروا هذا ـ المجسّ الخاص باستشعار الحرارة ، والذى يتدلى من صدورنا جميعًا ..

كان للكائن صوت رفيع حادّ .. وقد درست هذه التفاصيل بعناية فى ذاكرتى قبل أن أطلق صيحة أو صيحتين بصوت الكائن الذى أعيش فيه : هاو هاو ! غريب هذا ! إن التعبير عن الرضا يتم هنا بحركة منتظمة من الطرف الخامس الموجود عند مؤخرة الجسد ..

داعب الكائن السيد رأس الكائن التابع ، ثم اتجه بخطى ثابتة إلى ما بدا لى كمركبة حمراء واقفة أمام المنزل .. رأيته يستقلها ودوى هدير عال يصم الآذان ، ثم تحركت المركبة مبتعدة .. يا لبدائيتها ! ياللصخب والتلوث الذى تحدثهما ! هكذا عرفت بالضبط موقع هؤلاء القوم من سلم التقدم العلمى !

الآن صارت عندى نقطة صالحة للبدء ..

ما إن ابتعدت المركبة المضحكة حتى خرجت من

جسد الكائن الذى يدعونه كلبًا .. وعلى الفور استعملت موهبة التحول المورفولوجى لأتخذ ببطء شكل الكائن الذى رأيته منذ ثوان ، وبالطبع ثيابه وإن ظل السلاح حول معصمى ..

أنتم تعرفون أن بوسع الواحد منا أن يحل فى كيان كائن ، أو يبدو مثله بالضبط .. يمكن أن أكون مثلك أو يمكن أن أكون أنت .. هذا سلاح قوى وإن كنا نكره أن نستعمله مع بعضنا ..

لقد تحولت إلى نسخة كاملة من الكائن طويل الشعر حتى إن الكلب راح يدور حولى ، ويهز طرفه الخامس فى مرح .. لقد اعتبرنى سيده .. لكننى تجاهلته ، واتجهت رأسًا إلى البيت .. كنت أعرف أن أمامى وقتًا لابأس به حتى تتم استعادتى .. يمكننى أن أبدأ أبحاثى من هنا ..

كان الباب موصدًا . باب بدائى مما نراه فى متاحف تاريخ كوكبنا .. هذا النوع من الأبواب يفتح بمفتاح .. ومتى كانت المفاتيح عقبة أمام أهل (زيفرا) ؟ لقد

قمت بتحوير طرف إصبعى إلى ما يشبه المفتاح وأولجته فى القفل ، وغيرت شكل الإصبع ثانية ليتناسب وانبعاجاته من الداخل .. كليك ! انفتح الباب .. ودخلت .. وأثار دهشتى أن الكلب لم يتبعنى إلى الداخل .. لابد أن لديه تعليماته بهذا الشأن ..

حقًا كان مسكنًا بدائيًا لكنه يبدو مريحًا وله رائحة عطرة .. رأيت هذا كله باستعمال مرشح الرؤية الليلية المزروع فى عينى .. رأيت مرآة عملاقة تحتل جدارًا كاملاً .. ومن الغريب أن انعكاسى فيها لم يكن انعكاس الكائن الذى رأيته ، بل انعكاسى أنا (# # 99 ∅) ..

هى معلومة مهمة يجب وضعها فى الحسبان : مرايا هذا الكوكب لا تنخدع بالتحول المورفولوجى .. إنها تظهرنى كما أنا بالضبط ..

فيما بعد فهمت أن سكان هذا الكوكب نوعان :

نوع طويل الشعر دقيق البنيان كالذى رأيته الآن ، ونوع قصير الشعر لكن يعوض ذلك بزيادة فى شعر الوجه والجسد ، وقوى البنيان إلى حد لم أره على كوكبنا قط .. أما كل الكائنات الأخرى فتُدعى (حيوانات) ولها منزلة اجتماعية أدنى ..

* * *

3

سمعت الباب ينفتح فأجفلت ..

وعلى الضوء القادم من الخارج رأيت كائنًا من الرتبة قصيرة الشعر قوية العضلات ..

وقفت فى براءة أنتظر القادم .. لم لا ؟ إننى أشبه الكائن الذى كان يسكن هنا ، وبشىء من الحظ يمكن أن يعتبرنى هو ..

دخل المكان ووقف لحظة ويبدو أنه قد شعر بوجود كائن آخر ..

أضاء مصباحًا ما فغمر ضوء ساطع المكان ، وقال بلغته التى لم تعد عسيرة على :

ـ « (داليا) ؟ أنت هنا ؟ »

كان لابد لى من رد فعل ما ، وقد بحثت فى أفكارى عن فكرة صالحة .. فى النهاية كان الرد

الوحيد هو نعم .. وحاولت أن أخرجه من حنجرة ذلك الكائن .. وكانت الاستجابة مثيرة .. لقد صرت أملك قياد النموذج تمامًا كما يقود المرء منا مركبة سلسة الحركة :

ـ « نعم .. »

كان يبدو على قدر من الشراسة والغباء .. لا أعرف .. ربما كانت هذه معالم الرقة واللطف هنا .. وقد مد يده إلى جيبه فأخرج أنبوب عادم أبيض وأشعل نارًا قربها منه ، فانبعثت رائحة قوية لها أصل عشبى ما .. هذه العادة كانت عندنا يومًا ما .. استنشاق أعشاب جافة بلا جدوى على الإطلاق ..

قال فى صوت رتيب :

ـ « قلت إنك لن تعودى .. كذا كانت كلماتك .. »

ما هذه الورطة ؟ يمكن أن أنهى كل شىء وأفر من هنا .. لكن اللعبة بدت لى مسلية فقلت :

ـ « غيرت رأيى .. »

ـ « هذا جنون .. أنت جننت فعلاً .. »

ثم اتجه إلى الداخل وهو لا يكف عن تلويث الجو بتلك الرائحة .. مد يده إلى جهاز معين بشىء من العصبية فانبعث سيال من الأصوات والصور ..

جن جنونى .. لابد من أن أرى هذا الجهاز ..

اتجهت فى تؤدة إلى حيث أرى الشاشة .. وكان ما عليها يظهر بلدة ما تجوب مركبات مدرعة شوارعها ، ومبان مهدمة ، ودماء ، وجثث محترقة ..

واضح أن هذا الجهاز يشبه الراصد فى عالمنا ، لكنه أكثر بدائية بالطبع .. يبدو أن هذه الأحداث تدور فى هذه اللحظة بالذات فى مكان ما من هذا العالم ..

نسيت من أنا وأين أنا ، وجلست أتعلم المزيد عن هذا العالم .. مهم جدًا هو هذا الجهاز .. يمكنك أن تتعلم عن هذا العالم فى لحظات معدودة ما كنت تحتاج إلى (أنثراك) كامل لتعرفه .. كان كوكبًا تعسًا يعانى من الحروب والاضطرابات البيئية .. وسكانه لم يتعلموا بعد التحكم فى الطقس ولا الزلازل .. كان هناك جوع ، وهو شعور لا نعرفه فى (زيفرا) لأن وحدات الشحن تغذى عقولنا بإحساس الشبع الدائم ، ويجب

أن أقول هنا إننى لم أتلق وحداتى منذ بدأت الرحلة ، لذا رحت وأنا أشاهد الشاشة أتسلى بحبوب (كارا) المقوية .. وهى وجبتى الأساسية باعتبارى من الرتبة (99 Ø) كما تعلمون ..

وقلت لنفسى :

ـ « لو أننى تمكنت من بث هذه الصور إلى (زيفرا) لقدمت لهم أعظم خدمة ممكنة .. »

الكائن قصير الشعر يظهر على الباب ممسكًا بشطيرة يلتهمها .. يستند إلى الإطار فى تراخ ، ويسألنى وهو يمضغ :

ـ « ألن تتناولى العشاء ؟ »

هززت رأس الكائن بمعنى أنه غير راغب ..

ـ « ألن تنامى إذن ؟ »

حقًا أنا بحاجة إلى النوم ، لكن ليس هنا .. لا أعرف حرفًا عن طقوس النوم فى هذا الكوكب .. لابد من أن أرتكب خطأ ما .. كلا .. لن أنام ..

هز رأسه باحثًا عن شىء يقال : ثم غمغم :

ـ « اذهبى للحمام إذن واغسلى وجهك .. »

الحمام ؟ مكان النظافة على الأرجح .. هززت رأسى بمعنى أن هذا ممكن على الأقل ، ونهضت ..

أين الحمام ؟

طبعًا ما كنت لأجرؤ على سؤاله ، لذا اعتمدت على حاسة الرطوبة التى لدى .. إحساس البلل يأتى من هذا الصوب .. لابد أن الماء هناك ..

مشيت إلى حيث البلل .. كان نظامًا لإمداد المياه لابأس به على الإطلاق .. يذكرك بما تراه فى عالمنا .. وكانت هناك مادة دهنية معينة يبدو أنها تمنح المزيد من النظافة ..

رحت أغسل وجه الكائن وشعرت بانتعاش لا بأس به ..

هنا رأيت ذلك الكائن قصير الشعر يدنو من الباب .

يقف بطريقته المتراخية مستندًا إليه .. يبدو أنه بحاجة إلى إطار باب دائم إلى جواره حيث ذهب .. قال وهو مستمر فى المضغ :

ـ « كلما فكرت فى الموقف وجدت أن .... »

ثم ماتت الكلمات على شفتيه .. وتصلب ..

لماذا تصلب ؟

أعتقد أننى فهمت . أن انعكاس وجهى فى المرآة يبدو ظاهرًا له ، وانعكاس وجهى هو ـ بالفعل ـ انعكاس وجهى وليس انعكاس وجه الكائن طويل الشعر !

وعلى الفور ابتعدت عن المرآة وواجهته ..

ترى ماذا سيقول ؟

لم يتكلم أو يعلق .. فقط ظل ينظر لوجه الكائن فى حيرة وغباء .. أعتقد أننى أفهم الآن ما يدور فى ذهنه : لو لم ير شيئًا .. فقط تخيل الأمر برمته بسبب ضعف الإضاءة .. إن شكلنا غريب فعلاً لايوحى لهم

إلا بالكوابيس .. ومن الأسهل أن يتخيل الواحد من أن يعترف بأن هذا ممكن ..

- « ألن تنامى فى ليلتك هذه ؟ »

للمرة الثانية يكرر الاقتراح ، لكن الكائن طويل الشعر يهز رأسه .. ثم يعود إلى جهاز الصور ويجلس أمامه فى نهم ..

هز رأسه ثم دخل لينام على ما يبدو ..

وجلست أمام جهاز الصور أفكر .. هذا المكان يبدو مناسبًا لى .. ويبدو أننى صرت ألعب دور الكائن طويل الشعر ببراعة .. يمكننى أن أبقى هنا فترة أطول وأتخذه قاعدة انطلاق ..

سأنتظر هنا حتى يأتى موعد الرحيل ، وفى هذه الأثناء أجمع ما أستطيع من مطومات وسيالات ضوئية .. لقد انتهى السؤال من زمن بالنسبة لى : هل هذا الكوكب خال إلا من الديناصورات ؟ طبعًا لا .. هذا كوكب مزدحم لا يصلح على الإطلاق لنا ، إلا بحرب إبادة كاملة ..

لكنى - بضمير حى - كنت راغبًا فى أن أجود التقرير الذى سأقدمه إلى (سيجورا) العظيم ..

وهكذا أمضيت أول ليلة لى فى هذا الكوكب أمام جهاز الصور ، ولحظات من النوم المختلس ..

* * *

4

حين دخل القاعة فى الصباح منكوش الشعر لا يكف عن حك شعره ، كان يلبس نوعًا من الثياب أكثر نعومة مما كان يرتديه ليلاً وهو ما جعلنى أعتقد أن هؤلاء القوم ينامون بثياب خاصة ..

حين دخل القاعة ووجدنى ما زلت أجلس أمام جهاز الصور ، بدت عليه الحيرة ، وقال فى غباء :

- « ألم تغمضى عينيك لحظة ؟ أنت غريبة الأطوار بحق .. »

ثم دنا منى فركع جوار المقعد الطويل الذى كنت أتمدد عليه ، فوضع يده فى شىء من الغلظة على عنقى ، وقال :

- « (داليا) .. يجب أن تردى على .. يجب أن تتكلمى .. »

رفعت عينى نحوه لأفهم ما يريد قوله .. كانت بصيلات الشعر فى وجهه قد استطالت مسافة الليلة وهو ما دلنى على أن هؤلاء القوم فعلاً يشبهوننا كثيرًا .. كما كنا من ملايين المسيكات ..

- « أنت تعرفين أن زواجنا كان خطأ .. لكن كلينا يعذب الآخر بهذه الطريقة .. يمكنك أن تكرهينى إذا شئت .. لكن لا تعابثينى بهذه الألعاب السخيفة .. »

لم أرد وطفقت أنظر لوجهه فى ثبات .. لا أفهم حرفًا عما يتكلم عنه لكنه كلام مهم ، ومن السهل أن أرتكب خطأ ما .. يجب أن أظل صامتًا ..

ثم تذكر شيئًا فسأل وهو ينهض :

- « أين السيارة ؟ »

هززت رأسى وأنا لا أعرف عم يتكلم كما هى العادة .. فصاح :

- « **السيارة أيتها الحمقاء .. السيارة !** »

ثم وقف فى وسط القاعة وراح يطوح بقبضته فى فظاظة .. ويردد حشداً من التعبيرات التى وجدتها عسيرة الفهم .. تعبيرات حادة لاتخلو من تشبيهات قوية جداً .. فيما بعد عرفت أن هذا سباب .. نعم .. هذا هو اسمه .. نحن لانستعمل هذه الأساليب كثيراً لهذا يصعب فهمها بالنسبة لنا ، لكن لنقل إنها التعبير اللغوى الأعلى عن حالة الغضب هنا .. حين يغضب الأرضى يصف خصمه بأنه (حمار) مثلاً .. ما جدوى هذا ؟

الحمار رتبة بيولوجية مختلفة وليس من المهين فى شىء أن تتهم واحداً آخر بأنه ينتمى إليها .. هذا يسىء إلى دقتك البيولوجية لكنه لايسىء له على الإطلاق ، كما أن قولك هذا لا يعنى أنه صار حماراً .. لكن الحقيقة أن أهل هذا الكوكب يفعلون ويقولون أشياء عديدة لا تخضع لأى منطق ، وربما كان السبب أنهم فى بداية مسيرة التقدم ..

الخلاصة أن الكائن أطلق على فيضاً من السباب ..

ثم قال وهو ينزع ثيابه توطئة لأن يلبس ثياباً أخرى :

ـ « أنا لا أخدع بسهولة .. أنا لست طفل الأمس .. أريد السيارة وأريد قائمة الأثاث قبل أن أطلق سراحك .. لن تتخلصى منى وتفوزى بكل شىء بهذه البساطة .. »

ثم انصرف غاضباً ، وسمعت باب الدار ينغلق ..

هذه المخلوقات تضيع وقتها فى أمور غريبة جداً ..

دعنا من هذا السخف ..

الآن يجب أن أقوم ببعض عمليات المسح ..

هكذا غادرت الدار ، وقمت بالتقاط عشرات السيالات الضوئية لكل مكان .. أخذت عينات من التربة وحللتها واحتفظت بالنتائج فى ذاكرتى لأننى لن أنقل معى شيئاً فى أثناء العودة .. حللت الهواء والماء ..

وغادرت الحديقة إلى العالم الخارجى .. فأدركت أن المكان يعج بوحدات سكنية متماثلة .. ولم أكن أعرف

وقتها أن هذا المكان الذى رأيته يمثل أرقى أنماط السكنى فى هذا العالم .. إن صاحب المكان ثرى .. وثرى كلمة يصعب فهمها بالنسبة لنا حيث لا ملكية فردية فى عالمنا .. لكن لنقل إنه يملك من الأسباب ما يتيح له الحصول على مستوى حياة أفضل من رتبته .. فى (زيفرا) لايمكنك أن تظفر بمسكن مكيف وحديقة إلا لو كنت معداً لكتابة الشعر والموسيقا .. هنا يمكن لمن لاموهبة له أن يظفر بالشىء ذاته لمجرد أنه ثرى .. أى يملك عدداً من وحدات الشراء ، حصل عليها من أهله أو كسبها من عمله أو سرقها من سواه .. هذه أشياء يصعب فهمها لكن لابد من أن نحاول معاً ..

عندما دنا المساء انتهيت من جولتى وعدت إلى المقر ..

هنا فوجئت بالمركبة الحمراء واقفة فى الحديقة .. ما معنى هذا ؟

دنوت من البيت أكثر ، أصخت السمع فكان ما سمعته أقرب إلى الصراخ ..

صوت الكائن طويل الشعر :

ـ « أنت لا تطاق .. حقًا لا تطاق .. حسبت أنك تتعذب وأننى سأقدم لك معروفًا بالعودة .. فإذا بك تقابلنى بهذا الصراخ .. »

أما هو فكان يواصل ما بدأه صباحًا :

ـ « مجنونة .. لا أكثر ولا أقل .. هذا أنت .. وكل ما قلته أمس والسهر ليلة كاملة أمام التلفزيون .. و ..... »

ـ « أنت الذى فقد صوابه .. أنا قضيت الليلة عند أمى .. أى تلفزيون تتحدث عنه ؟ »

ازداد صوته توحشًا :

ـ « هذا لأنك جننت فعلاً أو تريدين إصابتى بالجنون ! »

ثم دوت بعض عبارات لم أفهمها جيدًا ، واندفع المخلوق طويل الشعر خارجًا من البيت فى عصبية واضحة .. كانت ثيابها تختلف عن أمس .. اتجهت إلى السيارة وأوشكت على أن تفتحها ثم توقفت ..

نظرت إلى الدار ثم إلى السيارة وبصقت عليها ، ثم أخرجت أداة تشبه المفتاح من حقيبة يدها فطوحتها على الأرض وداستها بقدمها وابتعدت ..

هنا جاء دورى ..

بدأت عملية التحول المورفولوجى لتناسب ثيابى ثياب ذلك الكائن .. ثم اتجهت إلى الدار ..

لماذا فعلت ذلك ؟ لأننى كنت راغبًا فى اختبار هذا الوضع حتى حدوده القصوى ، ولأن المكان راق لى .. ثم إن رحيلى صار ذاتيًا جدًا ولن تحدث مشاكل أخرى ..

الباب كان مواربًا فدفعته ودخلت ..

كان ذلك الكائن قصير الشعر جالسًا على الأرض وفى فمه ذلك العادم الدخانى الأبيض .. وقد بدا عليه الهم ..

رفع رأسه فرآنى .. ابتسمت له ..

ـ « هل تمزحين ؟ »

كان الجو يفوح بالتوتر .. نحن نشم رائحة التوتر بسهولة ، ويقول الأرضيون إنها رائحة هرمون يسمونه (الأدرينالين) .. لا أدرى .. لكننا نعرف التوتر حين نراه ..

لم أرد واتجهت إلى جهاز الصور وفتحته فى شغف ..

كانت مجموعة من الكائنات قصيرة الشعر تحمل أسلحة ما ، وتطلق نارًا على بيوت بلدة لا أعرف ما هى .. بدأت اندمج فى الحدث حين ..

أغلق الجهاز فى عصبية باستعمال أداة صغيرة سوداء فى يده ، وقال :

ـ « قلت لى إنك لن تعودى .. »

ـ « لم أقل .. »

قلتها فى برود وواصلت النظر إلى الشاشة الخاوية ..

هنا لاحظت أنه لم يعد ينظر لى .. كان ينظر ـ بعينين متسعتين خائفتين ـ إلى مرآة صغيرة فى ركن المكان ..

مرآة لم تكن تظهر إلا طرفًا من وجهى .. وبالطبع كان الوجه الذى يراه هو وجهى الحقيقى ..

بدلت من جلستى وغصت فى المقعد ليتوارى وجهى تمامًا ..

لكنه ظل ينظر لى فى ذهول ..

بعد دقيقة من الصمت المربك همس :

- « أنت .. أنت لست طبيعية .. »

ثم مد يده فى شىء من الرعب وأمسك بمعصمى ، وقال :

- « تعالى معى .. تعالى معى حالاً .. »

* * *

5

كانت الغازات السامة تملأ المكان حتى إننى تصورت أننا فى مستنقعات (بيلجور) .. وكان الكائن الجالس يملك شعر وجه أكثر بكثير مما رأيته حتى الآن .. لقد طال شعر وجهه حتى غمر أعلى صدره ، وكان يضع أمامه ذلك الوعاء الذى يطلق الغازات السامة ولا يكف عن ترديد كلمات ما ..

بقى أن أقول إن مكان هذا الكائن كان عند سفح جبل .. والبيت فقير لا يشبه ذلك الذى أقيم فيه .. لكن الكائن القصير الشعر كان يعرف الطريق ، وبشكل ما شعرت بأنه قد رتب هذا اللقاء مسبقًا .. من حسن حظه أن الكائن طويل الشعر ترك له تلك المركبة كى توصله إلى هنا .

الكائن قصير الشعر يقول للكائن الآخر :

- « ممسوسة .. أنا متأكد .. »

فى نظرات شاردة سأله الكائن الآخر :

ـ « وتقول إن صورتها تغيرت فى المرآة ؟ »

ـ « نعم . رأيتها أكثر من مرة .. تتشاجر وتهجر البيت ثم تعود إليه بعد دقائق .. وهى تكرر الشىء ذاته أكثر من مرة .. »

يهز الكائن ذو الشعر الغزير على وجهه رأسه فى فهم ويقول :

ـ « أعرف هذا النوع من الجان .. إنه جان ملحد ، ولابد أن عملاً سفليًا موجودًا فى موضع ما .. »

ـ « والحل ؟ »

ـ « أولاً : لابد من فك العمل .. ثانيًا : لابد من أن تدفع .. تدفع الكثير .. ولسوف تدفع .. »

ثم أخذ شهيقًا عميقًا وأمر الكائن قصير الشعر بأن يتركه معى ..

ـ « لابد من أن أتكلم مع هذا الجان .. »

فى تثاقل وشك خرج الكائن قصير الشعر وبقيت وحدى وسط أبخرة الغازات السامة ..

لم أكن أفهم ما يقال وإن أدركت بسهولة أن الرجل طويل شعر الوجه كاذب .. كاذب ما دام يزعم أنه يعرف من أنا وما أنا .. أعتقد أن الكلام عن مهمة (سيجورا) الأعظم الذى أرسلنى من (زيفرا) هى أمر لا يمكن أن يخطر له ببال ، ومهما بلغ من سعة خيال .. هذان أحمقان أحدهما يخدع الآخر .

وقد قررت أن أداعب الرجل طويل شعر الوجه على طريقتى ..

لقد بدأت أمارس خبرة التحول المورفولوجى لأتحول .. لمن ؟ أتحول إلى الكائن طويل شعر الوجه طبعًا .. لقد احتفظت بجسد الفتاة لكنى غيرت من معالم وجهى قليلاً .. بدأ شعر وجهى يستطيل وفى عينى ارتسمت تلك النظرة الثقيلة السمجة التى لا تخلو من خبث وشر ..

وفى الضوء الخافت نظر الرجل لى .. اهتز شعر وجهه قليلاً .. وراح يرمش بعينيه ..

ثم انتقلت الرجفة إلى شفته السفلى ..

لا أعرف إن كان يتذكر جيدًا شكله لكنه على الأقل لم يكن جميلاً على الإطلاق بمقاييس هذا الكوكب . وقد وجدنى أتحول إلى كائن قبيح مريب الشكل ..

أعترف أنه تأثير مرعب .. لهذا لا نمارسه إلا قليلاً ..

وفى النهاية أطلق عواء كعواء ذئاب (داركونيا) .. هب صارخًا وركل وعاء الدخان فتناثر فى كل صوب ، وراح يلطم خديه .. ويركض من مكان لآخر فى الغرفة .. وهو يردد :

ـ « أعوذ بالله ! ابتعد عنى !! »

وجاء الكائن قصير الشعر من الخارج ليرى سبب هذه الضوضاء ، وهنا كنت قد استعدت وجهى القديم .. لهذا لم ير الكائن قصير الشعر أسبابًا جلية لكل هذا الصراخ ..

ـ « ماذا حدث يا عم الشيخ ؟ »

لكن الكائن طويل شعر الوجه راح يعوى ويصرخ ..

ومن بين صرخاته جاءت كلمات يمكن فهمها نوعًا :

ـ « هذه المرأة ! إنها ممسوسة ! »

ـ « يا سبحان الله .. أنت قلت هذا من دقائق .. »

لكن الرجل لم يكن على استعداد لقبول المنطق ، وفى حركات هستيرية راح يطردنا نحو الباب وهو لا يكف عن العواء والصراخ .. كأنه شيطان تمت كهربته من شياطين (موردا) الذين لا يكفون عن الاهتزاز فى أية لحظة .. لا يحضرنى أى تشبيه آخر ..

لا أدرى إن كنت مخطئًا أم لا .. لكن هذا الرجل لم ير قط هذا النوع من البشر الذين يعتبرهم (ممسوسين) .. إنه لا يملك خبرة على الإطلاق ..

وسمعت الكائن قصير الشعر يهمس بشىء كهذا وهو يغادر البيت :

ـ « أنت نصاب إذن .. للمرة الأولى فى حياتك تقابل الشىء الحقيقى .. »

ثم فتح لى باب المركبة وقال دون أن ينظر لى :

ـ « اركبى .. »

وتنطلق المركبة الملوثة التى تنثر الغازات السامة فى كل مكان .. أعرف أنه معذب .. أعرف أنه يخافنى كثيرًا .. وكما توقعت أوصلنى إلى البيت وقال دون نظرة أخرى واحدة :

ـ « سأقضى الليل فى الخارج .. »

كأنه يكلم أحد أفعوانات (بلجور) .. وأدار المحرك المزعج ..

ثم ابتعدت المركبة ..

مرت عدة مسيكات وأنا فى الدار أتسلى بمشاهدة الجهاز ذى الصور .. بعد مسيكات قليلة أعود إلى كوكبى ، ولا أخفى أننى لهذا سعيد .. إن المغامرة تفعمنى لكنى سئمت هذا العالم بحق ..

قررت أن أنام ثلاث مسيكات بعدها استعد للرحيل ..

لا أعرف هل نمت أم لا .. لكنى حين صحوت كنت أدرك أن هناك من يعبث فى قفل الباب ..

هناك من يحاول الدخول ..

وهو ليس الكائن قصير الشعر بالتأكيد ..

* * *

كنت واقفًا فى الظلام ، واستطعت أن أرى الكائنين الداخلين إلى الدار .. كانا من الطراز المشعر قوى العضلات .. كانا يتحركان فى توتر وبطء .. وفى يد أحدهما شىء مضىء ، وسمعتهما يتكلمان بصوت خفيض .. طبعًا فهمت أفكارهما لا كلماتهما كالعادة ، وأمكننى بسهولة أن أعرف ما يتكلمان عنه ..

كان الأول يعرف نفسه باسم (شحاته) والثانى يعرف نفسه باسم (حمزة) .. يا لها من أسماء غريبة ! كيف يعرف المرء طرزه البيولوجى من أسماء كهذه ؟ كان (شحاته) يقول لصاحبه :


لقد مدّ يده فى ثيابه وأخرج شيئًا لامعًا يبدو أنه سلاح بدائى ..

ـ « متأكد من أن الكلب لن يفيق ؟ »

ـ « عيب ! كل هذا اللحم لن يضيع هباءً .. إن أمامنا ساعتين أو أكثر .. صدقنى .. »

ـ « صه ! هل تسمع ؟ التلفزيون مفتوح ! »

وسمعتهما يتقدمان ، وفى اللحظة التالية غمرنى شعاع الضوء الذى يحمله الأول ، وسمعته يشهق فى ذهول ، ثم تراجع للوراء فى وضع دفاعى وكذا فعل صاحبه ، وإن كان الأخير أسرع فى ردود الأفعال .. لقد مدّ يده فى ثيابه وأخرج شيئًا لامعًا يبدو أنه سلاح بدائى .. وقدرت أنه سلاح من النوع الذى يحتاج إلى التحام جسدى ، لا كسيوف الطاقة مثلاً ..

ـ « ولا كلمة يا مدام ! لو أردت ألا نؤذيك فلا تحدثى جلبة ! »

ودون كلمة أخرى ، انقض الكائن الشرس علىّ ملوحا بسلاحه ، وأدركت أنه فى سبيله لإيذائى جسديًا .. كأن .. كأن هذا ينقصنى ! المشكلة هى أننى لا أجد

الوقت الكافى لهذا السخف .. سلاح (زيتا) ؟ لا طبعًا .. إن أخطر سلاح فى (زيفرا) لا يستعمل لهذه التفاهات ..

كان أمامى حل واحد سهل .. بقدرتى على الإحلال تلاشت جزيئاتى تمامًا ثم احتلت جسد مهاجمى بالذات .. وفى اللحظة التالية لم يعد وجود للكائن الذى يسمونه (المرأة) ، ووجدت نفسى فى مركز القيادة لهذا الكائن الشرس المسمى (حمزة) ..

كان تأثير هذا على الآخر خارقًا للعادة .. لقد فوجئ بالمرأة تتبخر .. هذا ما رآه ، وراح يرتجف ويردد عبارات على غرار :

ـ « بسم الله الرحمن الرحيم ! هذه الليلة لن تمر على خير .. إنها جنية لا امرأة .. هل رأيت ما رأيته ؟ »

* * *

6

هذه المرة كنت أسيطر بشكل كامل على الكيان المدعو (حمزة) .. تلاحظون أننى للمرة الأولى منذ قدومى أحل فى جسد لكائن قصير الشعر .. لقد جربت ذلك الكائن الصغير الذى يدعونه كلبًا .. وجربت الكائن طويل الشعر .. لكن هذا الكائن ..

رباه ! يا لقوته ! فى عالمنا يستحيل أن تجد من يماثله قوة .. لقد استغنينا عن أجسادنا منذ زمن وتضخمت عقولنا ، لكنها بحق كانت تجربة مثيرة ..

على أننى لاحظت أن خلايا مخه لاتعمل على ما يرام .. أداؤها أبطأ مما يجب .. انتقال الشحنات الكهربية ليس جيدًا .. وهذا كان يؤدى بالكائن إلى أن يتصرف مثل (روبوت) تعطلت دوائره المنطقية .. يخيل إلى أن هذا الرجل تحت تأثير عقار ما .. عقار من النوع الذى يؤدى إلى بطء عمل خلايا الدماغ .. لماذا ؟ ولأى سبب ؟

فيما بعد عرفت أن لكائنات هذا العالم عادة عجيبة هى تعاطى مواد تدمر خلايا الدماغ وتشل حركته ، ويطلقون على هذا الطقس اسم (مازاج) أو (مزاج) .. كما قلت لكم نحن لن نفهم هذه الكائنات ماحيينا .. لكن القوة الغاشمة التى لم أجربها قط كانت تتلاعب فى أعماقى ، وهكذا لم أقاوم الإغراء .. كورت قبضة (حمزة) ـ أعنى قبضتى ـ ووجهت لكمة عاتية إلى وجه الكائن الآخر .. زلزلت كيانه بحق .. فصاح والدم يسيل من أنفه :

ـ « هل جننت أيها الـ .... ؟ »

لكمة أخرى ثم ثالثة .. بعدها هوى على الأرض ، وانقطع سيال وعيه ..

ومن جديد سمعت قرعات عنيفة على الباب .. ترى من القادم هذه المرة ؟

هذه المرة كانت القرعات حازمة حاسمة .. قرعات من يملك الحق فى الدخول .. ثم تهشم الباب لينفتح ،

ورأيت عددًا من الكائنات يقتحم المكان .. كانوا جميعًا يرتدون ثوبًا موحدًا ، وكان منهم من يحمل فى يده سلاحًا أسود صغير الحجم ، استنتجت من منظره أنه يعمل عن بعد ..

ـ « لا تتحرك ! »

ووقفت فى بلاهة بينما هؤلاء القادمون يكبلون ذراعىّ وراء ظهرى ، وأحدهم يتفحص جسد (شحاتة) الممدد على الأرض .. وأحدهم ـ يبدو ذا مرتبة أعلى ـ يمسك بجهاز اتصال بدائيًا ويقول فيه :

ـ « تمام يا فندم .. لقد وجدناهما متلبسين .. (حمزة الهجّام) ومعه واحد آخر لا أعرفه .. لقد كان بلاغ الجار صحيحًا .. »

وتأملته فى اهتمام .. كان قويًا بدوره ، له مسحة مسيطرة ما .. وكان الآخرون ينادونه بلفظة (باشا) .. وهنا اتضح لى الأمر .. هذان المتسللان يمارسان نشاطًا إجراميًا ، أما هؤلاء المقتحمون فيمثلون (دوريات التطهير) التى نعرفها عندنا .. إنهم (شرطة) .. هذا

ما سمعت من أفكارهم .. وعرفت أنهم يملكون سلطة العقاب هنا .. ترى هل سلطة العقاب تتضمن (الإبادة الجزينية) التى نعرفها فى (زيفر٩) ؟ لا أظن .. هؤلاء القوم لا يملكون معجلات أيونية خارقة ..

لن أنتظر حتى أعرف على أى حال .. سرعان ما غادرت جسد الكائن الإجرامى، وقررت أن أجرب حظى فى جسد (سيد التطهير) ـ الباشا كما سمعتهم ينادونه ـ إلى أن أجد لحظة أنفرد فيها بنفسى .. وبمجرد أن تجسدت فيه شعرت بأنه أفضل من الكائن طويل الشعر .. إن هذا الأخير كان هش التكوين جسديًا ونفسيًا يشعرك بنوع من عدم الراحة كأنما أنت فى مركبة متهالكة يمكن أن تتفتت فى أية لحظة ، أما هنا فأنا فى مركبة متماسكة راسخة ..

ياله من مشهد ! مشهد الكائن الإجرامى وقد أفاق من غيبوبته ليجد نفسه مقيدًا ومحاطًا برجال التطهير ! لقد كان ذهوله خارقًا وراح يحاول الإفلات ، وهو ما أثار دهشة الكائنات حوله .. لقد كان مسالمًا فى البداية إلى حد لايصدق ، والآن صار فى حالة مريعة من الهياج ..

وقال أحد الكائنات :

ـ « يبدو أنه كان تحت تأثير المخدرات ياسيدى .. لقد أفاق الآن فجأة ! »

ـ « فليكمل إفاقته فى التخشيبة ! »

كنت فى هذه اللحظة قد اتخذت مكانى تمامًا داخل جسد الباشا .. وأمكننى أن أفهم نمطه النفسى وأحلامه ومشاكله .. يا لسهولة هذا العمل على هذا الكوكب ! فى كوكبى يعدّ الإحلال جريمة إذا استخدم مع سكان الكوكب .. فقط هو مباح فى حالة الحروب مع كوكب (بلجور) عدونا الدائم .. ولحظتها لايكون سهلاً أبدًا لأن موضوع الإحلال يقاوم بعنف ..

على كل حال هذه هى المغامرة الأخيرة لى فقد حان الموعد .. موعد العودة ..

تهيأت للانصراف مع رجالى ، ولاحظت فى سرور أن الباشا يقول أفكارى بلغة هؤلاء القوم .. وهكذا اتجه الجميع إلى إحدى وسائل النقل البدائية إياها ..

فقط كانت تمتاز بأضواء متلألئـة رقراقـة تنبعث من مصباح على سقفها ، وكان لها صوت مولول مزعج .. واضح أنها وسيلة نقل (دوريات التطهير) على هذا الكوكب .. لم تكن تطير ـ ويا للغرابة ! ـ ولا هى مزودة بكابحات هيدروجينية ، كما أنها لم تكن تستمد طاقتها من الثقوب السوداء الدقيقة كما عندنا .. أية قدرات لهذه الناقلة إذن وفى أى شىء تتميز عن المركبة الحمراء التى كان الكائن طويل الشعر يركبها ؟

أما الكائنان الإجراميان فركبا وسيلة نقل أخرى ..

وشعرت برضا عن نفسى وأنا أجلس إلى جانب الكائنات .. لقد دنا وقت الرحيل عن هذا الكوكب ، ويمكن القول إننى كونت فكرة لا بأس بها عنه .. لم أعرف كل شىء ، لكنى أعرف أنه بدائى ، يسكنه قوم عاقلون عدوانيون ، ولن تكون إبادتهم عقبة كأداء بالنسبة لنا باستعمال سلاح (زيتا) ، لكن ما جدوى هذا ؟ هواؤهم ملوث ومواردهم منهكة فلا شىء يستحق عناء المحاولة .. لكن القرار قرار (سيجورا) الأعظم على كل حال ..

المركبة تمشى بسرعة بطيئة فى شوارع المستعمرة .. فهمت من أفكارهم أن المركبة تسمى (عربة الدورية) والمستعمرة اسمها (مدينة القاهرة) ..

هنا حدث شىء غريب ..

* * *

لقد توهجت السماء ، وتلألأت عدة مرات ، ثم دوى صوت انفجار مروع فى أجواز الفضاء ، بعده راح الماء ينهمر من السماء مدرارًا .. هذا مطر ! كنت قد نسيت أن هذا الكوكب لا يتمتع أفراده بالسيطرة على المناخ .. لهذا لم أر المطر والبرق فى كوكبى إلا نادرًا ..

وقال أحد الجالسين من حولى :

ـ « لقد فعلتها ! قالوها فى النشرة الجوية ولم أصدق .. »

رحت أرمق المشهد المهيب .. مشهد اللسان الكهربى الذى يشقّ السماء كسيف ليزر عملاق ، ثم يهوى إلى

الأرض .. يا له من مشهد ! أنا الذى رأيت كل الظواهر الكونية على شاشة الراصد : رأيت شموس (كالدا) العشر ، وأنهار (مليسا) السماوية ، وجبال (هندسينا) المقلوبة .. وجدت غرابة لا توصف فى هذا المشهد ..

وهنا سمعت الصوت يتردد فى ذهنى ، من الخلية البيولوجية :

ـ « يا (# # 99 Ø) .. لقد انتهت الميسيكات المائة .. هل أنت مستعد لتيارات (زيكسا) تحملك إلى الوطن ؟ »

ـ « مستعد يا متكامل الدوائر .. »

ـ « (# # # 99 Ø) .. لقد انتهت الميسيكات المائة .. فهل تجلب إنجازاتك الرضا لمتكامل الدوائر ومجلس الحكماء ؟ »

ـ « حقًا يا متكامل الدوائر »

ـ « يا (# # # 99 Ø) .. هل فعلت ما .. كرآآك كرآآك .. الأعظم حين .. كرآآك كرآآك .. الاستيطان الأيونـ .. »

ثمة شىء خطأ .. الاتصال لا يتم .. همست فى توتر :

ـ « مستعد يا متكامل الدوائر .. مستعد ! »

ـ « كرآآآآآك ! كرآآآآآك .. »

لقد تلاشى الاتصال تمامًا ..

ما معنى هذا ؟ هل فقدوا القدرة على استردادى ؟ إن الاسترداد يحتاج إلى دقة هائلة فى المواعيد ، لأنه يعتمد على دورة زمنية جزيئية معينة .. هل حدث خطأ ما ؟

وتشممت الجو .. إنه ملىء بالكهرباء الاستاتيكية والأيونات .. هذا هو السبب .. هذه العاصفة الحمقاء لم تكن فى الحسبان ، وقد جعلت عملية الاسترداد مستحيلة .. ولكن .. أنا أرفض قبول هذا .. لابد من حل .. لابد من حل .. أنقذنى يا متكامل الدوائر !

* * *



كانوا يتكلمون ، والبرق يضىء بالخارج يليه الرعد ، وأنا أوشك على الصراخ .. اصمتوا قليلاً ! أريد أن أفهم ! زجاج النافذة غارق بالماء وأداة تتحرك يمينًا ويسارًا تحاول إزالته .. نحن نمشى فوق جسر يعبر مساحة من الماء .. الماء فى كل صوب .. يا لها من هستيريا .. يا له من جنون !

صرخت بصوت مسموع :

ـ « مستعد يا متكامل الدوائر .. مستعد .. مستعد .. مستعد ! »

نظروا لى فى عدم فهم ، وبدا عليهم الارتباك .. وفى اللحظة التالية مددت يدى إلى المقود الذى يقود هذه المركبة البلهاء ، وأدرته وهو فى يد صاحبه بأقصى قوة نحو اليسار ، وصحت :

ـ « أوقف هذا الشىء ! أريد أن أنزل ! »

أنتم تعرفون مركباتنا .. إن المركبة تتوقف على الفور إذا أدرت المقود لليسار ، وقد خطر لى أن هذا هو الحال هنا ، وبالطبع كنت مخطئًا كالعادة .. هؤلاء القوم لا يفعلون أى شىء كما نفعله .. (فيما بعد عرفت أن هذه المركبات تتوقف إذا ضغطت بقدمك على جسم مربع فى قاع المركبة . والحقيقة أننى لا أفهم جدوى هذه التعقيدات ولا لماذا ينبغى أن يكون للقدمين دور) ..

ـ « انتظر يا باشا !! إننا .. »

ولم أقدر خطورة ما قمت به لأن هذه المركبات لاتتمتع بأى ذكاء صناعى .. لقد انحرفت عن مسارها ولم تعمل الكومبيوترات المنظمة للمسار ، وأدركت حقيقة أخرى مروعة : أن الأرض الزلقة لاتسمح بعمل تلك الأشياء التى كان الرجل يدوسها بقدمه .. يبدو أن اسمها (فرامل) بالنسبة لهم .. وتصدر صوتًا مخيفًا كعواء كل ذئاب (بلجور) .. هذه هى الصورة الوحيدة التى يمكن أن تستوعبها عقولكم لوصفه ..

صراخ . صراخ .. ثم المركبة تنقلب حول نفسها .. تصطدم بالحاجز الذى يحيط بالجسر .. تطير فى الهواء ثم تهوى .. صوت ارتطام يصمّ الآذان ..

أشعر بالماء يحيط بنا .. يتسرب إلى صدرى .. هذه ليست مشكلة .. لأن رئتى مُعدّة لتعمل كخيشوم السمكة .. كل أصحاب الرتبة (99 ∅) يمكنهم التنفس تحت الماء لأن جيناتهم معدّة لهذا كما تعلمون .. كان التفاعل عنيفًا شرسًا حتى إننى سمعت خلايا الكائن تتفجر من (الغليان المجهرى) الذى حدث فيها لحظة الغرق ..

أصعد إلى السطح وأسبح إلى الشاطئ ..

إن السباحة وسط كل هذا الماء الساقط من السماء ، وكل هذه الكهرباء الهابطة من السماء لأمر مستحيل يصعب تصوره ..

كان الماء غير مالح .. وكان خاليًا من المذاق الحمضى لمياهنا الملوثة لكنه برغم هذا كله لم يكن نظيفًا .. مازال أمام هؤلاء القوم شوط هائل كى يبلغوا مستويات التلوث عندنا ، لكنهم يمضون فى هذا الطريق بنجاح ..

وألقيت بجسد الكائن على الشط وسط الغبار والظلام ..

كانت ألسنة الكهرباء الاستاتيكية تقصد الجسد المبلل .. لكنى رحت أصدها عنه بتيارات (دكسا) المضادة .. لا أريد أن أبحث عن جسد آخر بهذه السرعة ..

ونظرت إلى المياه بحثًا عن ركاب الناقلة ..

لقد هلك البؤساء بالتأكيد بسبب حماقتى واندفاعى .. لكننى أصبت بحالة جنون وقتى مروعة ما كان لها أن تتدبر وتفكر ..

جلست على الشاطئ والمطر يغرق جسدى وثيابى ، ومن بعيد رأيت زحامًا .. عدد من الكائنات يقف على الضفة ويسلط الكشافات إلى الماء .. لقد نسيت المركبة الأخرى التى كانت تتبعنا .. لقد رأى ركابها سقوط مركبتنا فى الماء .. ها هم أولاء يفتشون عن طريقة لإنقاذنا أو انتشالنا .. وهنا خطر لى خاطر غريب ..

كان سرور القوم بالغًا لأننى نجوت ، واقتادونى إلى مركبة أخرى لها شكل غريب ، بيضاء اللون تتوهج الأضواء على سقفها ، وهناك تفحصونى بعناية .. كانت ثيابى مبتلة ، وقد بدت علىّ المعاناة ، وكنت أفهم جلّ كلامهم لكنى لا أستطيع بالطبع الكلام بلغتهم ، وقد فقدت التحكم فى لسان سيد التطهير .. كنت أبدو مثله تمامًا لكنى مجرد هيكل ..

ولاحظت أنهم فسروا صمتى بالصدمة العصبية التى انتابتنى من هول الحادث .. لابأس .. هذا يعطينى بعض الوقت ..

اقتادتنى المركبة إلى بناية عملاقة ملأى بكائنات ترتدى ثيابًا بيضاء .. كان هناك عدد من الأجهزة البدائية واضح أنها تؤدى وظيفة (التحليل الحيوى) لى ، كجهاز (جوكام) على كوكبنا بالضبط .. لكن جهاز (جوكام) كما تعلمون يا إخوان أكثر تعقيدًا ويفعل كل شىء فى نفس اللحظة ، وقد راح القوم يتساءلون عما حدث بالضبط .. كيف قارف السائق هذا الخطأ ؟ وفهمت أنهم أرسلوا بعض الغواصين لانتشال المركبة الغارقة .. أوف !

* * *

لا تنظروا لى يا إخوانى .. لم يكن لدى حلّ آخر .. ولا تنسوا أننى جئت كوكب (هيسا) أصلاً ومهمتى هى التدمير .. أنا أكره تدمير هذه الكائنات التى لم تقارف ذنبًا ، لكن ما كان بوسعى عمل شىء آخر ..

لقد فقدت صوابى حين عرفت أننى سجين هذا الكوكب للأبد ..

هل يرسلون لى إشارة أخرى ؟ لا أظن .. أنا لست جاهلاً وأعرف جيدًا التعقيدات التى تنجم عن فشل محاولات الاسترجاع .. إن من لا يرجع فى الوقت المناسب هو ببساطة (مفقود فى أثناء العمليات) .. ومن المستحيل أن نراه ثانية فى (زيفرا) ..

أكره أن اصدق هذا لكنها الحقيقة .. أحتاج لبعض الوقت كى أعتادها لكنها لن تزول ..

الآن حان وقت التفكير فى مستقبلى .. سأمضى

أيامًا تحت الملاحظة فى مركز (التجديد الحيوى) هذا ـ يسمونه هنا مستشفى ـ وسيكون عندى من الوقت ما يسمح بتعلم كل شىء عن الكائن الذى استعرت صورته وهيكله وماضيه وحياته .. إنه ملائم لحياتى هنا إلى أن يجد قومى سبيلاً لاستعادتى ..

* * *

8

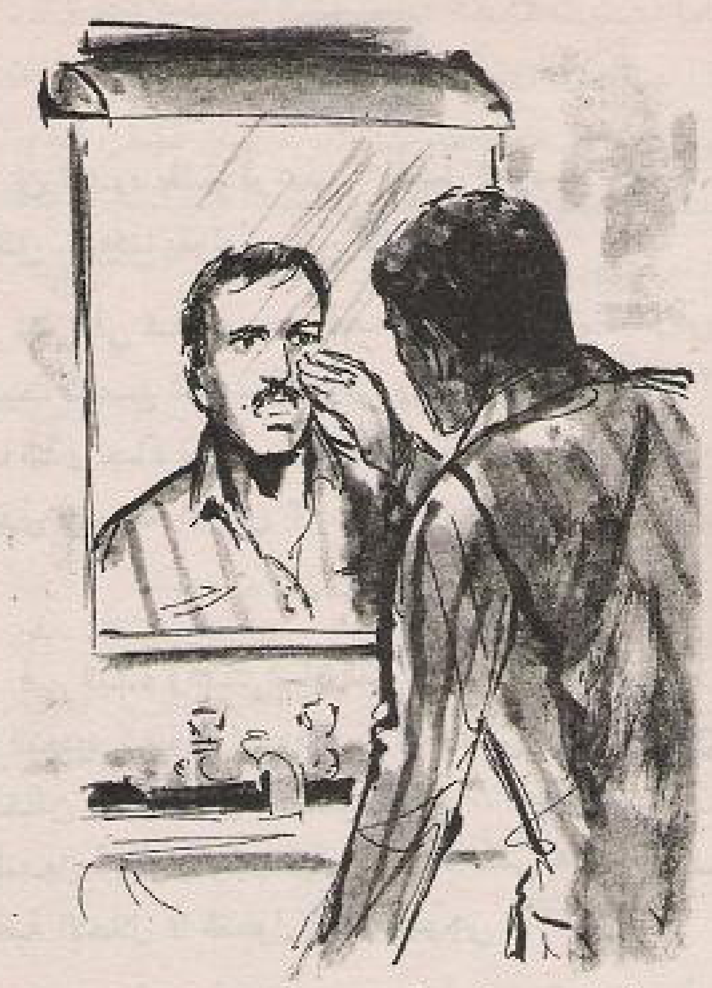
إن التعود يقتل الرعب .. يقتل الغرابة .. يقتل القلق .. هكذا يقولون على الأقل ..

لكنى فى كل غروب أقف وأرمق الأفق الشرقى حيث تلتمع النجمة الأولى ، وأتساءل : كيف ؟ ما الذى جاء بى إلى هذا الكوكب الغريب المزعج ، الذى يسمونه الأرض ؟

* * *

فى البدء وقفت أمام المرآة فى غرفتى بمركز (التجديد الحيوى) ، ودرست كل شىء عن ملامح الكائن الذى صار مسكنى الدائم .. طبعًا كان من السهل أن أرى وجهه فى المرآة لأننى هنا أمارس لعبة الإحلال لا التحول المورفولوجى ..

إنه قبيح جدًا بمقاييسنا ، لكن من الواضح أن



في البـدء وقفت أمـام المـرآة فـي غرفتـي بمـركـز (التجديد الحيوى) ، ودرست كل شيء عن ملامح الكائن الذى صار مسكنى الدائم ..

شكله محبب لهذه الكائنات .. إن بعض الكائنات طويلة الشعر التى ترتدى الأبيض تقول إنه وسيم .. أستطيع كذلك إدراك أنه قوى .. كل كائنات هذا الكوكب أقوى منا جسديًا ، لكنه أقوى من أكثر من رأيت هنا ..

كان ينادونه بـ (هانى) .. اسم آخر من تلك الأسماء التى لا معنى لها ، ولا تدل على الطرز البيولوجى أبدًا .. يبدو أن له رتبة ما .. أحيانًا ينادونه بـ (سيادة الرائد) .. كما فهمت أنه ـ كما يقولون ـ (مقطوع من شجرة) .. لا أفهم معناها .. هذا الكوكب ما زال يتعامل بنظام الأسرة التى تم إلغاؤها على كوكبنا منذ قرون .. ما زال هناك نوعان من الكائنات ولم تتوحد الأجناس بعد .. لدينا فى (زيفرا) ـ كما تعرفون ـ جنس واحد موحد .. لا يوجد ما يعرف بالزواج ، وإنما هى الحضانات التى تمتزج فيها الجينات لتكوين الجنين الذى يحدد نمطه ورتبته من اللحظة الأولى ..

هنا يختلف الأمر كثيرًا .. هنا يوجد كائن قوى قصير الشعر يدعى الذكر ، وكائن قادر على حمل الأجنة فى بطنه ـ تصوروا ! ـ يدعى الأنثى .. ويتم التزاوج بين الكائنين للحصول على الأجنة .. الكائن الوليد يظل مرتبطًا بالذكر ـ ويسميه الأب ـ والأنثى ـ ويسميها الأم ـ وهكذا تتكون الأسرة .. هذه أمور غريبة وتذكرنا بما تحكيه أجهزة التربية للصغار فى الحضانات عندنا .. كنا نعتقد أن هذه القصص نوع من تخاريف الروبوتات المكلفة بالتربية ، لكن يتضح لنا أن لهذا كله أساسا علميًا ما .

إن فكرة الذكر والأنثى قوية جدًا هنا ، حتى على مستوى اللغة ، وهم يعتبرون قمرهم ذكرًا وشمسهم أنثى ، ويعتبرون الأرض أمهم ، و .. و .. تعقيدات تصيب المرء بالصداع ، ولا يفهمها سوى (سيجورا) الأعظم نفسه ، حتى إننى ازددت تمسكًا بهذا الكائن الذى أعيش فيه .. لا أب ولا أم ولا زوجة ولا أطفال .. هكذا لن تكون هناك لحظات محرجة تفضحنى ..

* * *

وفى الأيام التالية ـ تلاحظون أننى لم أعد أستعمل وحدات الميسيكات ـ حاولت تعلم لغتهم باستعمال أسلوب (ميركا) العظيم .. كان بوسعى الآن أن أستخدم لسان الضابط .. لم تكن هذه مشكلة من البداية لكنها كانت صعبة إلى حد أننى كنت ألجا للصمت أكثر من اللازم . لكننى كنت بحاجة لفهم كل شىء وقول كل شىء ..

لغة سهلة هى يسهل تعلمها .. وقد فسروا زيادة استعمالى لها بتحسن حالتى الصحية ، كما تعلمت التهام طعامهم ، وهو خليط مثير للاشمئزاز لكنه كان مفيدًا للكائن .. ولكنى رحت أعانى باستمرار من ذلك العرض الأرضى المزعج : الإسهال .. وهو عرض نسيناه منذ دهر فى زيفرا ..

إن أحشاءنا التى تطهرت تمامًا ولم تعد تتحمل أى عبء مع حبوب (كارا) المقوية ، ليست مؤهلة على الإطلاق للتعامل مع كل هذه المواد النشوية والدهنية والبروتينية .. لكن الكائن لا يفيد من تلك

الحبوب على الإطلاق .. هكذا تجد أنك بين نارين : الحفاظ على نفسك أو الحفاظ على المركبة التى تستقلها ..

حاولت بكل جهد مخلص أن أحافظ على الشيئين معًا .. والسبب هو أننى لا أريد تدمير هذا الكائن الذى لا ذنب له .. يمكننى أن أتركه فى أى وقت لأختار مركبة أخرى ، لكن ما ذنبه ؟ وهنا نجد فارقًا كبيرًا بيننا وبين هذه الكائنات : أنا أكره تدميرهم ولن أفعل هذا إلا مضطرًا ، بينما هم لا يشعرون بأى تعاطف نحو أية رتب بيولوجية مختلفة ويعتبرون تدميرها عملاً أخلاقيًا ، بل ومحببًا على سبيل الرياضة .. بل إن أفراد نفس الرتبة البيولوجية يدمرون الآخر لمجرد أن لونه مختلف أو لغته مختلفة أو عقيدته مختلفة .. عرفت هذا من جهاز الصور وأثار دهشتى ..

وجاء اليوم الذى سمحوا لى فيه بالعودة إلى دارى .. أعنى دار الضابط بالطبع .. كان يقيم فى مبنى صغير

عند أطراف المدينة .. فهو ـ كما هو واضح ـ لم يكن ثريًا برغم نفوذه . يبدو أن هناك رتبًا بيولوجية تمنح النفوذ ولا تمنح الثروة . بينما ـ على الأرجح ـ تمنح الثروة النفوذ فى هذا العالم .

لقد أخذتنى مركبة الشرطة إلى هناك .. وهنئونى على سرعة الشفاء ، واقترح أحد زملائه ضاحكًا أن أتزوج سريعًا كى أجد من يعنى بى ..

وأخيرًا وجدت نفسى وحدى فى مسكنى بكوكب (هيسا) ..

كانت دارًا صغيرة ضيقة متواضعة .. واضح أنها لا تلقى أية عناية .. لكننى سررت إذ وجدت جهاز تلفزيون صغيرًا .. وأنا أعتبره سفيرى لهذا العالم .. كما وجدت كثيرًا من المذكرات والخطابات والسيالات الضوئية التى يسمونها (الصور) جعلتنى أتوغل أكثر فى عالم هذا الكائن ..

كنت الآن أجيد لغتهم المكتوبة ، وقد تعلمتها فى أثناء

مكونى فى مركز (التجديد الحيوى) .. وهى لغة سهلة تتكون من عدد محدود من الرموز الصوتية التى ينجم عن دمجها معنى ما .. لم تكن كلغتنا الفكرية التى يكفي أن ترى الصفحة المكتوبة حتى تفهم المعنى كاملاً مرة واحدة .

كنت مخطئاً حين حسبت الكائن بلا علاقات بالكائنات طويلة الشعر .. ثمة علاقة اسمها (خطبة) تربطه بإحدى هذه الكائنات .. واضح أنها خطوة تمهيدية للتزاوج هنا .. لقد رأيتها ـ ذلك الكائن طويل الشعر ـ مرارًا فى المستشفى ، ولم أدركنها ولا ما المفترض أن تكون .. إن صورتها ـ سيالها الضوئى ـ هنا ، وتبدو فيه قبيحة جدًا بمقاييسنا .. ليس مخها مكشوفًا ولا تملك ممسات حرارية ورأسها صغير جدًا .. بل إن عينيها ـ تخيلوا هذا ـ لونهما أخضر كشياطين كوكب (بلجور) !

لكنها من طرازه ، وبالتأكيد يراها جميلة .. هذه مشكلته ..

مشكلتى أنا هى الفرار منها ، والتخلص من قبضتها إذا أردت البقاء فى جسد هذا الضابط ..

* * *

هنا دوّى رنين شىء .. هذا هو جهاز الاتصال الذى يستعمله هؤلاء : جهاز من اللدائن تمسك بجزء منفصل منه وتضعه على أذنك .. اتجهت نحوه حيث وجدته ، ورفعت الجزء المتحرك ، وقلت كما يفعلون :

ـ « آلو ! »

جاءنى صوت ذلك الكائن الأنثوى الذى يسمونه (إيناس) :

ـ « كيف حالك يا (هانى) ؟ حمدًا للّه على سلامتك ! لقد مررت على المستشفى فوجدت أنك خرجت دون أن تخبرنى .. ولهذا حسابك معى .. »

كيف أرّد على هذا الكلام ؟ قلت لها فى ثبات :

ـ « لقد تم تجديدى حيويًا ولم يعد من .... »

انفجرت بذلك الصوت المتقطع الذى يصدره أهل (هيسا) ويسمونه ضحكًا ، وقالت :

ـ « تجديد حيوى ! أما أنت ! أنا سعيدة سعيدة لأنك استعدت مرحك ! »

آه ! يجب أن آخذ الحذر وأنتقى تعبيراتى ..

قلت لها :

ـ « أعنى أن فترة الشفاء انتهت و .... »

ـ « أعرف .. وهذا يستحق احتفالاً صغيرًا .. »

كنت أعرف أنهم لا يقيمون احتفالات تحرر النيترونات هنا ، لهذا رحت أنتظر فى رعب الاحتفال الذى أعدته لى ..

ـ « إن أمى تدعوك على العشاء هذه الليلة ، وقد أعدت لك المكرونة بالبشاميل التى تحبها .. لابد من إعادة الحياة إليك .. هه ؟ لا أعذار .. الثامنة مساءً وإلا .. »

ووضعت السماعة .. سحقًا ! كيف يمكن الإفلات من هذا الإعصار ؟ ثم كيف الوصول إلى دارها أصلاً ؟ وماهى هذه الـ (المكرونة بالبشامل) ؟ اسمها وحده كارثة تذكرنى بمراكز التطهير الأيونى فى كوكبنا .. لن أذهب .. لن أذهب ..

* * *

وذهبت ..

فى الثامنة إلا الربع بتوقيتهم كانت هناك مركبة عتيقة تحت البيت تعوى كذئاب (بلجور) ، وتطالبنى بالنزول .. نزلت متوجسًا فوجدت شابًا يشبه (إيناس) تلك كثيرًا ، وقدرت أنه ـ حسب المقاييس هنا ـ يمت لها بصلة جينية ما .. فى الغالب هو أخوها ..

قال ضاحكًا :

ـ « الحمد لله على سلامتك .. جئت أوصلك لأن المشوار قد يرهقك .. »

ثم تأملنى لحظة وهو يشعل واحدًا من عوادم الغاز السام :

ـ « هل تريد رأيى ؟ أنت تغيرت كثيرًا .. »

ـ « هذا طبيعى .. ألم يقع الحادث وبعدها .... ؟ »

ـ « لا أتكلم عن الحادث .. أتوقع بعض النحول أو الإرهاق .. الخ .. لكنك تبدو مختلفا .. كأنما .... »

وفكر بعض الوقت ثم قال وهو يدير المحرك :

ـ « كان هناك شخصًا آخر يسكن تحت جلدك ! »

* * *



ـ « شخص آخر يسكن تحت جلدك ! »

سمعت هذا التعبير عشرات المرات منذ قمت بالإحلال .. كلهم شعر بشىء ما غريب ..

لكن هذه الأمور لا تحدث هنا .. ومن المستحيل أن تحدث .. لهذا كانوا يتناسون الأمر فيما بعد ، والحقيقة هى ما قالوه بالضبط .. « هناك شخص آخر يسكن تحت جلدك .. »

لكن كيف يعرفون هذا ؟ وكيف يصدقونه إذا عرفوه ؟

* * *

وهكذا عرفت هذه اللقاءات الغريبة التى يسمونها (عزومة) على هذا الكوكب .. وهى لقاءات غير فكرية ولا تهدف للتبادل الأيونى ، إنما تهدف

ـ صدق أو لا تصدق ـ إلى ابتلاع المزيد من هذا الخليط المقزز الذى يأكلونه ..

وسمعت بعضًا من أحاديث هؤلاء القوم ، لكننى ظللت عاجزًا عن فهم الدعابة كما يسمونها .. فالفتاة ـ مثلاً ـ تنظر لى ضاحكة وتقول :

ـ « لماذا كان الفيل أسود ضخمًا مربع الجسد ؟ غلب حمارك ؟ لأنه لو كان أبيض صغيرًا ومستدير الجسد لصار قرص أسبرين ! هاهاهاها ! »

فأقول فى عدم فهم :

ـ « لكن الأسبرين عقار وليس حيوانًا .. فكيف يحدث الخلط ! »

فيتبادلون النظرات بدورهم ..

أما أخوها هذا فلا يكف عن الكلام عن كهربائى السيارات النصاب الذى زعم أن العيب فى (الكتاوت) بينما هو لم يكن فى (الكتاوت) .. ويضرب المائدة بقبضته :

ـ لكننى سأراه غدًا .. ولسوف يرى !

ويقول الأب إنه يفترض أن العيب فى (الكتاوت) فعلاً : لكن الفنى ـ على ما يبدو ـ مصر حتى الموت على أن العيب ليس فى (الكتاوت) .. هذا يشبه حفلات تحرر النيوترونات عندنا .. ربما تجده مسليًا لكن الكارثة أن هؤلاء القوم لا يمزحون .. هم جادون تمامًا ..

ثم بعد دقائق أجد أن الفتاة لا تكف عن النظر بعينيها المخيفتين ـ كشياطين (بلجور) ـ إلىّ .. يبدو أنها نظرة إعجاب معين .. كل هذا مخيف مفزع .. لن أحضر هذه اللقاءات أبدًا مرة أخرى .. لكن جزءًا معينًا منى .. جزءًا فى أعماق روحى بدأ يفهم هذه المشاعر الغامضة التى يشعر بها سكان (هيسا) .. يبدو أن هذه المشاعر هى ما يسمونه (الحب) .. لا تنسوا أننى أحمل خلايا الكائن وكل كيميائه الغامضة ..

ونهضت لأغسل يدى كما يفعل الأرضيون .. كان هناك مغسل صغير ، وقطعة من تلك المادة الدهنية التى يسمونها الصابون .. المفترض أن أخلطها بالماء

وأفرك يدى .. جاءت الفتاة على سبيل المجاملة حاملة قطعة من نسيج لأجفف يدى بها .. كانت تنظر لى فى ثبات .. ثم أدركت أننى مرتبك فبدأت تنظر إلى انعكاس وجهى فى المرآة .. باهتمام ..

وبعد ثانية صاحت فى رعب :

ـ « ما هذا الذى أراه فى المرآة ؟! »

* * *

شعرت بارتباك مريع .. كيف نسيت أن صورتى فى المرآة تبدو كحقيقتى لا كما أنا متنكر ؟ ماذا تقول إذن وهى ترى الرأس المتضخم والمخ العارى وأقطاب الاستشعار ؟

وسمعتها تقول وهى تتأمل الانعكاس :

ـ « أرى أنك لم تعد تحبنى ! هذا ما أراه فى المرآة .. »

تنفست الصعداء .. الانعكاس لا يظهر حقيقتى إلا حين أكون فى حالة التحول المورفولوجى .. لكنى الآن فى

وضع الإحلال .. وجه الضابط هو وجه الضابط ولا خدعة هناك .. للحظة نسيت حقائق الأمور ..

وهكذا لم أعلق ، أضف لهذا أن الإسهال راح يلوى أمعائى مطالبًا باتخاذ خطوة إيجابية .. تلك الطرق البدائية للتخلص من فضلات الجسد لدى قوم لم يتعلموا بعد استعمال حبوب (كارا) ، لذا فضلت أن أنصرف فورًا قبل أن يحدث ما لا تحمد عقباه ..

ربما بدا هذا للقوم غريبًا ..

لكنى لم أعد أخاف أن أتهم بغرابة الأطوار ..

أحيانًا كانوا ينظرون لى ثم يغمغم أحدهم فى حزن :

ـ « الحادث .. إن ما رآه لم يكن سهلاً .. »

* * *

فى الصباح جاءت مركبة الشرطة تحملنى إلى عملى ..

هذا أول أيامى فى عملى الجديد على (هيسا) ..

كان مركز التطهير ـ أو كما يسمونه قسم الشرطة ـ مبنى عتيقًا مليئًا بالكائنات ذات الزى الموحد ، وكانت هناك غرف شبيهة بالأقفاص الحديدية بها عدد من ذوى الميول الإجرامية ..

حقًا كان هذا الكوكب يمر بمشكلة لا حل لها : كثير من الحالات التى تتعلق بالاعتداء على الملكية الفردية أو الأجساد .. وهذا نادر جدًا فى كوكبنا كما تعلمون ، ثم لا تنسوا أنه ما من ملكية فردية فى كوكبنا أصلاً !

وإن حدث اعتداء يكون ناجمًا عن طفرات وراثية فى أجنة الحضانات ، ويُعاقب بـ (الإبادة الجزيئية) فورًا ..

لكنهم هنا كانوا يسجنون ذوى الميول الإجرامية بعد إجراء ما يعرف بالمحاكمة ..

وسمعت مئات المرات العبارة الشهيرة :

ـ « الحمد للّه على سلامتك يا باشا .. »

ـ « الحمد للّه على سلامتك يا (هانى) .. »

واقتادونى إلى غرفة كبيرة فاخرة يجلس بها أضخم هذه الكائنات وأجهرها صوتًا وأعلاها رتبة .. كانوا يسمونه المأمور ، وقد قال لى فى مرح : إنه مسرور لعودتى سالمًا ، وإنه ينصحنى بنسيان ما كان ، لأن الحياة لا بد أن تستمر ..

كنت أنا غارقًا فى همومى الخاصة ، والأقدار التى شاءت ألا أعود لعالمى ، وأن أقضى ما تبقى من حياة جزيئاتى على كوكب بدائى مثل هذا ..

يومًا ما سيرسل (سيجورا) الأعظم من ينقذنى .. بالتأكيد سيرسلون واحدًا آخر ، ولسوف يحدد لى اللحظة المناسبة والمكان المناسب للحصول على جرعة العودة .. لكن متى ؟؟؟؟

* * *

وكانت بدايتى فى العمل ناجحة بحق ، لكن أحدًا لم يدرك هذا سواى ..

ها هو ذا أحد الكائنات الخطرة يقتادونه لغرفة المأمور .. لقد أسروه بعد ما اشتبه فيه أحد (رجال المعلومات) هنا .. يبدو أنه قاوم آسريه كثيرًا لأن وجهه كان مليئًا بالبقع الزرقاء والحمراء ، وكان فى حالة إعياء كما يبدو لأن من يقتادونه لم يربطوا كلا معصميه بتلك القيود الحديدية ، بل اكتفوا بواحد ..

كان هناك رجلان من رجال الشرطة ، أحدهما لا يرتدى الزىّ الموحد إياه ، وكان هناك نوع من الاطمئنان والاستخفاف لم أرتح إليهما .. هذا الكائن ليس بالضعف الذى يتظاهر به .. أدركت هذا وفهمته ..

فى اللحظة التالية حدث ما توقعته .. كان رد فعل الأسير سريعًا يذكرنى بسكان (ليبادا) البرقيين .. لقد ضرب أحد الجنديين فأوقعه أرضًا ، ثم هوى على

زجاج الباب بالقيد الحديدى فهشمه إلى قطع والتقط أكبر القطع وانحنى بها على عنق الجندى الساقط ، وصاح بصوت غيّرته أسنان مهشمة :

ـ « لا يتحركن أحدكم وإلا ! »

حدث هرج ومرج وارتباك ، وتصلب الجميع عاجزين عن اتخاذ القرار الأصوب ، وتحسس أحدهم مسدسه المعلق من خاصرته ، فرفع المأمور يده وصاح بحزم :

ـ « لا تتحركوا وافعلوا كما يقول ! »

كان الموقف خطرًا . هذا الكائن فى حالة عصبية متطرفة ولن يمنعه شىء من استخدام سلاحه هذا .. كان شرسًا متوفزًا لا يقدر العواقب ، وقد أدرك المأمور الشىء ذاته فكان قراره حكيمًا ..

أعتقد أنه لم يكن فى حالة نفسية طبيعية ، وربما تكفل الضرب الذى تلقاه من قبل بتحويله إلى وحش جريح ..

قال وهو يتقدم منه بهدوء متوتر :

- « (خميس) .. لاتتهور .. إلى أين تظن أنك ستذهب ؟ وكيف ستخرج من هنا ؟ حتى لو استعملت قطعة الزجاج هذه فلن تجرح سوى اثنين .. ثلاثة .. أربعة ، بعدها أنت لنا ! »

ورسم على وجهه ابتسامة توحى بالثقة لكنها كانت عصبية بحق ..

اهتز المسدس فى يد (خميس) هذا - ترى ما هو طرزه البيولوجى ؟ - وقال :

- « ثلاثة من رجالك يموتون يا باشا ! هل ترضى بهذا ؟! »

طبعًا لن يرضى .. ربما كان ترك هذا الكائن يفر أخف ضررًا من مجزرة لابد أن تحدث ..

طال الكلام والمفاوضات من هذا النوع ، ووجدت

أن الأمر صار مملاً سخيفًا .. لذا قررت أن أغامر باستعمال أساليبى الخاصة ..

كان استخدام الهجوم المباشر مخاطرة تهددنى بفقد هذا الجسد الجيد الذى أعيش فيه ..

فى الوقت ذاته كان استخدام الإحلال خطرًا لأنه يهدد بكشفى .. لكنه كان الحل الوحيد ، وهكذا سرعان ما تخليت عن جسد الضابط وتلاشت جزيئاتى ، لتنصب فى جسد الكائن الإجرامى ..

وبطرف عينى رأيت الضابط ينظر حوله فى ذهول ، ثم يسقط على الأرض فاقدًا وعيه لحسن حظى .. هذا طبيعى على كل حال .. فلا أحد يستطيع تحمل صدمة كهذه بعدما غاب عن العالم أسابيع طويلة ..

الآن أنا فى جسد المجرم .. ليس هذا صعبًا .. كان قويًا وشرسًا ، لكنه صار فجأة ألعوبة فى يدى .. ومن دون كلمة أخرى جعلته يلقى بقطعة الزجاج المهشمة



وهكذا سرعان ما تخليت عن جسد الضابط وتلاشت جزيئاتى ؛ لتنصب فى جسد الكائن الإجرامى ..

على الأرض ويمد معصميه ، كأنما يطالب بحقه فى القيود الحديدية مثل الآخرين .. وعلى الفور انقض عليه أربعة رجال ، وأحاطوا معصمه بالقيود ، ووجهوا له بعض اللكمات لإطفاء حماسه .. طبعًا لم يكن هناك حماسة على الإطلاق .. بل جعلته خانعًا هادئًا كالـ .. كالـ .. كالشاة قبل ذبحها كما يقولون هنا على ما أذكر ..

ورأيت المأمور يتنفس الصعداء ويخرج منديلاً ليجفف عرقه ، وهتف :

ـ « الحمد لله ! لقد كانت مناورة منه لا أكثر .. »

وقال أحد الواقفين :

ـ « لقد هزته صلابتك يا باشا .. »

هكذا وجدت أن الوقت مناسب كى أغادر جسد الكائن الإجرامى الأحمق ، وأعود لجسد ضابطى البائس .. فما إن غادرت الأول حتى راح يتلفت حوله ببلاهة .. متى قبضوا عليه ؟ لقد كان يمسك بزمام الموقف منذ ثوان ، فمتى انقلبت الأمور ؟

أما الضابط ففتح عينيه ، وصار ملكى من جديد ، ورأيت الجميع يرمقونه فى شىء من السخرية ممزوجة بالشفقة ، ثم قال المأمور بلهجة لم يُمح منها اللوم :

ـ « لا عليكم .. أنتم تعرفون أن المسكين مر بحادث فظيع ، ولم تعد أعصابه تتحمل شيئاً ! »

كيف لو علموا ؟ كيف ؟!

* * *

10

ترى لماذا تأخرتم فى اللحاق بى ؟

أين قومى الأعزاء ؟ أين زملائى من الرتبة (Ø 99) ؟ لم نكن نعرف معنى الصداقة ، لكن التجاذب النوعى يجعلنا نبحث عن مصحلة بعضنا ، ويدعونا للتقارب .. حقًا كانت الوحدة تمزقنى هنا ..

وبعد أسبوعين ـ أنثراك كامل عندنا ـ اتصلت بى الفتاة المدعوة (إيناس) لتقول لى إنها قلقة علىَّ ، وإن زملائى يقولون إننى ميال إلى الانعزال والوحدة وقلة النشاط ..

ـ « ثم إنك تركتنى دون كلمة حين قلت إنك لم تعد تحبنى .. »

ـ « كان الإسهال هو السبب .. »

ـ « إسهال ؟ هل سبب لك طعام أمى إسهالاً ؟ »

ـ « نعم .. نعم .. إن طريقة الطهى هنا قد .... »

ـ « هل تريد رأيى ؟ » ـ قالتها فى عصبية ـ « أنت صرت لا تطاق !! »

ووضعت السماعة .. حمدًا للّه ! يؤسفنى ما سببت من مشاكل لهذا الكائن الذى تقمصته لكن ما باليد حيلة .. لابد لى من تقمص كائن ما على كل حال .. لماذا لم أبحث عن كائن أكثر أهمية ؟ لماذا لم اتقمص حاكمًا أو قائدًا أو حتى ممثلاً شهيرًا ممن أراهم على شاشة التليفزيون ؟ السبب هو أننى أبحث عن كائن لايثير الضوضاء من حوله .. كائن متوار نوعًا .. ليست لدى طموحات معينة فى هذا الكوكب .. أريد أن أظل دون مضايقة حتى أسمع الخلية البيولوجية تنادينى للعودة ..

بعد قليل جاء صوت المأمور عبر الهاتف ليطلب منى الحضور حالاً .. إن المركبة قادمة لاصطحابى الآن .. هناك جريمة قتل حدثت فى إحدى المنظمات التسويقية التى يسمونها هنا (الشركات) ، وقد أبلغ

عامل المكتب الشرطة منذ دقائق .. لم أكن فى الخدمة فى تلك الليلة ، لكن أوامر الرئيس تشبه أوامر (سيجورا) الأعظم لايمكن مناقشتها ..

ـ « تذكر يا (هانى) .. أنا لم أعد شديد الحماسة لأدائك .. حاول ألا تفشل أو تجبن هذه المرة .. »

قالها بلهجة لاتخلو من تهديد ..

* * *

وبعد دقائق كنت أجتاز باب الشركة فى بيت له حديقة من الطراز الذى يسمونه هنا (فيلا) .. معى ستة من الرجال بعضهم لايرتدى الثياب الرسمية ، وكان هناك عدد من رجال (التجديد الحيوى) .. ـ الإسعاف ـ ورجال يلتقطون سيالات ضوئية ، وامرأة لاتكف عن العويل ولطم الخدين .. واضح أن القتيل زوجها ..

كان القتيل الذى كف عن التواجد البيولوجى رئيسًا لهذه الشركة ، وقد اعتاد المجىء ليلاً ليعمل وحده فى

صمت .. لكن العامل اعتاد أن يقصد المكان فى العاشرة مساءً ليسأله إن كان يريد شيئًا .. يقول العامل ودموعه تنهمر بغزارة كما هى عادة سكان (هيسا) :

- « لقد قرعت الباب مرارًا فلم يسمح لى بالدخول ، فتجاسرت ودخلت .. لأجده جالسًا على المكتب والدم يسيل من رأسه .. أصابنى الذعر .. لم أجسر على الاقتراب .. هرعت إلى الهاتف أطلب الإسعاف والشرطة وكل من له صلة بالأمر .. »

وأدخل المكتب لأرى ذلك القتيل .. فأجده كائنًا مهيبًا - بمقاييس زيفرا - له رأس عملاق أصلع شوه الرصاص جبهته ، ولكنه ظل جالسًا فى مكانه .. وكانت فى مواجهته نافذة عملاقة تطل على حديقة تدثرت بالظلام ، وإن سمحت لهواء الليل الملوث بالدخول إلى الحجرة .. وكانت هناك شجرة غليظة تعابث غصونها إطار النافذة .. الإطار الذى تكوم فوقه منديل ملقى بإهمال ..

قال احد رجال المعمل الجنائى كما يسمونه هنا :

- « لقد فتح أحدهم الباب الخارجى بمفتاح مصطنع ، ودخل إلى الغرفة وأفرغ رصاصة من مسافة دانية جدًا فى رأس الفقيد ، ثم أغلق الباب وغادر المكان .. هذا يضع العامل فى بداية القائمة ، يليه كل من يملك مفتاحًا .. »

- « والهدف من الجريمة ؟ الدافع ؟ »

- « السرقة طبعًا .. الخزانة مفتوحة وخالية من النقد .. قمنا برفع البصمات ، ولسوف ينتهى كل شىء سريعًا .. »

قال أحد الزملاء فى ملل :

- « أعتقد أن الزوجة هى من فعلها .. القصة دائمًا هكذا .. وحتمًا كان لديها نسخ من المفاتيح كلها .. »

كنت شارد الذهن أجرى - بالمرشح المزروع فى عينى - مسحًا حراريًا للغرفة لأعرف من دخل ومن خرج منها فى الساعات الماضية .. لكنى لم أستطع

تمييز وجود طيف حرارى فى الغرفة لمدة ساعتين ، سوى طيف القتيل ذاته الذى بدأ يبرد رويدًا ..

كان عقلى العلمى قد بدأ يتحمس للغز .. لو لم يستطيع ذكائى المتقدم كشف ما حدث فلا أحد يقدر .. قلت لهم وأنا أنهض :

ـ « معذرة .. أنا بحاجة لدخول الحمام .. »

واتجهت إلى حيث أشار لى العامل ، فقد كنت بحاجة إلى الانفراد .. إن ما سأقوم به يختصر عدة أيام من البحث .. سأعرف لكننى لن أستطيع الكشف عن مصادرى ، وهذه مشكلة أخرى ..

تلاشت جزيئاتى تمامًا وبعد ثوان كنت قد تركت الضابط المذهول فى الحمام وتسربت إلى وعى الزوجة .. الآن هى كتاب مفتوح أمامى ، ولم تكن تعرف شيئًا عن الجريمة .. كنت مذهولة حقًا ، حزينة حقًا .. هكذا ـ ببساطة ـ قمت بشطبها من قائمة المتهمين ..

تركتها وتسللت إلى كيان العامل .. كان أبسط تركيبًا لكنه مطلق البراءة .. لم يكن يشعر بشىء سوى

الذعر ، والتوجس من أن تنصب الاتهامات عليه .. قمت بشطبه من قائمة المتهمين بدوره ..

إذن من فعلها ؟ من ؟

عدت فى صورة الضابط إلى المكتب المزدحم بالكائنات الثرثارة ، وأصغيت لباقى المحادثات .. كان أحد رفاقى يقول لآخر :

ـ « تقول إن علاقته بزوجته كانت جيدة ؟ »

ـ « جدًا .. الكل يؤكد هذا .. كان يهيم بها حبًا .. كان رجل أسرة بمعنى الكلمة كما يقولون .. ويبدو أنه ما من أسباب تدعو الزوجة لقتله .. القاتل لص ولا جدال فى هذا .. »

كنت أنا غارقًا فى خواطرى ..

1 ـ لم يدخل أحد الغرفة منذ ساعتين ..

2 ـ الزوجة بريئة ..

3 ـ الزوج يحبها ..

4 ـ العامل برىء ..

5 ـ الطلقة كانت من مسافة دانية جدًا ..

دنوت من أحد زملائى وسألته :

- « هل يمكن أن يقتل الإنسان نفسه ليستفيد المقربون إليه ؟ »

ابتسم وقال فى غموض :

- « طبعًا .. لو كان قد أمّن على نفسه ويريد أن ينالوا مبلغ التأمين .. »

هذا شىء لم أعرفه من قبل .. يوجد فى هذا الكوكب ما يدعى بنظام التأمين .. ينال المقربون لك مالاً لو تلاشيت بيولوجيًا .. هناك شرط مهم هنا هو أنهم لا ينالون شيئًا لو أنك قتلت نفسك ..

دنوت من النافذة ، ورحت أمسح الحديقة المظلمة بمرشح الرؤية الليلية ، بينما زميلى يقول :

- « هل تشك فى انتحار الرجل يا (هانى) ؟ أنت تهذى .. منتحر لا يوجد المسدس جواره ! يبدو أن الحادث قد أفقدك كل تركيزك العقلى .. »

كان مرشح الرؤية الليلية قد سقط على أثر مهم ..

* * *

11

الآن أمكننى أن أرى غصن الشجرة الدانى من النافذة ومنه يتدلى ذلك الخيط المطاطى .. خيط من النوع الذى يربط به الناس هنا ثيابهم حول الخصر .. (أستك) ؟ هل هذا اسمه ؟

نظرت إلى أسفل ، ثم أعلنت أننى سأنزل لأتفحص الحديقة ..

كان الأمر أعقد مما توقعت حتى مع مرشح الرؤية الليلية لأن أسفل الشجرة كانت هناك غابة كثيفة من الأعشاب .. أعشاب يستحيل معها البحث بدقة .. لكنى فى النهاية وجدت المسدس ، والتقطته بمنديل لأنى أعرف موضوع بصمات الأصابع التى يحتاجون إليها هنا ، فهم لم يعرفوا بعد بصمة الشخصية التى نستعملها عندنا ..

وهكذا عدت إلى المكتب ـ مسرح الجريمة كما يسمونه ـ وأخرجت السلاح ووضعته على المنضدة أمام الخبير الجنائى ، وقلت :

ـ « هذا هو سلاح الجريمة .. »

ـ « رائع ! إن البصمات عليه ستفيدنا حتمًا .. »

ـ « لا أظن أنك ستجد بصمات .. »

ـ « لماذا ؟ »

أشرت إلى المنديل على إطار النافذة ، وقلت :

ـ « لأنه لفه بهذا المنديل قبل أن يطلق الرصاص على نفسه !! »

ـ « هل جننت ؟؟!!! »

هذه كانت من كل الرجال الواقفين ، وقد بدوت لهم كمن أصابه تحلل الخلايا المخية .. وسألنى الرجل وهو يضحك ساخرًا :

ـ « ورماه من النافذة بعد الانتهاء من الانتحار .. يبدو لى رجلاً شديد النظام ! »

لم أكن أفهم المزاح كما قلت لذا لم أضحك .. شرحت لهم رأيى :

ـ « لقد ربط المسدس ربطًا غير محكم إلى طرف الرباط المطاطى ، أى أنه لف الرباط حوله فقط .. وربط الطرف الآخر فى غصن الشجرة الدانى ، ولف المقبض والزناد بالمنديل ليخفى البصمات ، ثم أطلق الرصاص على جبهته .. لم يطلقه على صدغه كى يبدو الأمر أكثر صعوبة علينا .. أطلق على جبهته وهى موضع شبه مستحيل للمنتحرين .. مات .. تخلت قبضته عن المسدس .. طار هذا من النافذة لاحقًا بالرباط المطاطى ، ثم تحرر ليسقط أسفل الشجرة وسط الأعشاب .. قد لايجده أحد ولو وجدناه لحسبنا القاتل هو من تخلص منه هكذا .. لابد أن الفقيد قد أجرى تجارب كثيرة على هذه العملية قبل تنفيذها .. »

ـ « ولماذا فعل هذا كله ياحضرة العبقرى ؟ »

قلتُ وأنا أتجه للباب :

ـ « بالطبع كى تستفيد امرأته من مبلغ التسكين .. الـ .. التأمين .. أعتقد أنه فقد ماله ، وأراد أن يكفل لها عيشة كريمة .. لم تجد خيرًا من أن يقتل نفسه ـ القتل الذى لايبدو انتحارًا ـ ليوفر لها بعض المال .. »

ـ « والخزينة المسروقة ؟ »

ـ « كيف تعرف أنه لم يفرغها بنفسه حين جاء إلى المكتب صباحًا ؟ هذا يجعل قصة القتل تبدو أقرب للصدق .. »

بدا الاهتمام على الرجل ، لكن قصتى ـ كما هو واضح ـ ظلت مليئة بالثغرات .. لهذا عاد يسأل :

ـ « ومن أدراه أننا لن نتهمها هى ؟ »

ـ « لأننا لن نجد ضدها شيئًا ، وفى الغالب هى تملك مايثبت أنها لم تكن وحيدة عندما تم القتل .. »

ودون كلمة أخرى رحلت .. كان هذا كافيًا ويمكن لهم أن يتأكدوا بسهولة من صدق ما أقول .. كيف ؟

لقد تأكدوا من أن الشركة قد أفلست ، ومن أن هناك بوليصة تأمين ضخمة تفيد منها الزوجة ، ومن أن المسدس خال من البصمات ، ومن أن الرجل وضع فى داره لفافة مليئة بالنقود التى أخذها من الخزينة .. ومن أنه شوهد يجرب سقوط أجسام من النافذة ليرى أين تسقط بالضبط ، وأثبت الطب الشرعى كما يسمونه هنا أن الرصاصة أطلقت من مسدس ملاصق للجلد .. م

لاصق إلى حد أنه أحدث دائرة من الحريق .. كما أن الطب الشرعى برهن على أن أنامل الرجل ملوثة بالنترات .. أى أنه أطلق الرصاص .. أعتقد أنهم يطلقون على هذا الاختبار اسم (المولاج) ..

للأسف أباد الرجل جزيئاته ، لكنه لم يظفر بشىء لزوجته .. لأن المنتحر لاينال ذووه مبلغ التأمين .. لقد خسر كل شىء ..

أحيانًا يدهشنى فى هذا الكوكب معنى التضحية .. التضحية بالنفس التى تصل إلى حد إبادة الجزيئات

ذاتها ـ وهو شيء يستحيل فهمه عندنا فى (زيفرا) ـ من أجل الآخرين .. صحيح أن هدف التضحية هنا كان مخالفًا للقانون وشريعة العالم لكنه مؤثر برغم كل شيء .. هنا لايوجد حل وسط .. يمكنك أن تقتل الآخرين الذين تكرههم ، ويمكنك أن تقتل نفسك من أجل الآخرين الذين تحبهم .. هذا إفراط فى العواطف يصل إلى درجة الانقلاب والتهور .. ربما لأن نظام الأسرة لم ينقرض بعد ..

قال لى المأمور وهو يصافحنى مهنئًا :

ـ « ضربة من معلم يا (هانى) .. هى قضية نادرة قل أن نرى مثلها .. دائمًا ما يوجد من يحاول إقناعنا أن القتل انتحار .. لم نر قط من يقنعنا أن الانتحار قتل ! ولكن كيف خمنت هذا كله ؟ »

ـ « الملاحظة يا سيدى .. الملاحظة .. »

ضحك والتمعت عيناه سرورًا وقال :

ـ « إنهم فى المباحث لايصدقون .. يقولون إنك بالتأكيد (مخاو) للجان أو إنك من كوكب آخر !! »

وانفجرت ضحكًا كمن راقت له الدعابة .. لكنى لم أفهمهما .. فقط شعرت بتوتر بالغ .. يجب أن أكون أكثر حذرًا فى المرات القادمة .

* * *

ـ « انتبه .. انتبه .. »

الصوت يتردد فى خليتى البيولوجية بإصرار لايقاوم ..

كنت راقدًا فى الفراش ، وقد غرقت فى سبات عميق .. لقد كان الجسد منهكًا ، وكذا كانت خلايا عقلى .. لهذا لم أدر كيف ولا متى نمت .. وأنا أحب النوم لأنه يجعل عضلات الكائن ترتخى .. لايكون عليه أن يقاوم قوة الجاذبية المرهفة فى الواقع ، والتى تجر كل ما فيه لأسفل ، ولقد سمعت علماء هذا الكوكب يقولون إن من الخير أن ينام المرء على جانبه الأيمن لأن هذا يريح أربطة الكبد التى تشد هذا العضو الثقيل طيلة اليوم ..

لقد جربت هذا ووجدته مريحًا حقًا ، فأنا أشعر بكل خلية وكل عصب فى هذا الجسد ، وهذا يضايقنى طيلة الوقت ..

ـ « انتبه .. انتبه .. »

الصوت يتردد وأنا لا أعرف من أين يأتى ..

ـ «يا (#### 99 Ø) .. نحن نبحث عنك .. كرااااااااااك .. من .... الأمر .... كراااك .. »

إنهم ينادوننى ! مازالوا يبحثون عنى ! هذا حق ..

المجد لـ (سيجورا) الأعظم الذى لاينسى شيئًا ..

صحت فى هذه المرة بصوت عال دوى فى المكان :

ـ «أنا هنا يا متكامل الدوائر .. أنا هنا !»

تعالوا خذونى ! لايمكن أن تفشلوا !

وجريت إلى الشرفة .. فتحتها .. لكن لم تكن هناك رعود ولابروق فى السماء .. هذا الاضطراب الاستاتيكى إذن يحدث من دون سبب واضح ..

عاودت الصياح :

ـ «أنا هنا يا متكامل الدوائر .. أنا هنا !»

وفى ذهنى راح الصوت المشروخ يتردد :

ـ « كراااااااك ... يبحث عنك ... كرااااااااااك .. مكان لقاء .. كراااااااااك .. »

ـ «أنا هنا يا متكامل الدوائر .. أنا هنا !»

فى هذه اللحظة سمعت صوتًا يتردد من الطابق السفلى :

ـ « أنت يا من فى الطابق العلوى .. كف عن هذا ! لو كنت تتدرب على التمثيل ...... »

وسمعت صوت امرأة تقول بهمس مسموع :

ـ « دعه يا (صالح) .. إنه ضابط .. لاتؤذ نفسك !»

شعرت بالارتباك .. ارتباك وليس الخجل طبعًا .. فلتذهب القواعد إلى الجحيم إذا تعلق الأمر بترك هذا الكوكب الكريه .. فقط أكره أن يتساءل أحد عن دوافعى ..

وهكذا عدت إلى الداخل ، وقد أيقنت أن الاتصال قد توقف ..

لقد حاولوا الاتصال بى وفشلوا ..

لكن فى كلام الرسالة نفسها ما يوحى بالأمل .. شخص ما (يبحث عنك) .. (مكان لقاء) .. هذا كلام مهم جدًا ..

هل أرسلوا واحدًا للقائى ؟ مستحيل ببساطة لأن الأمور ليست دائمًا بهذه الروعة ، والأمثلة السابقة لهؤلاء الذين فشلوا فى العودة واعتبروا مفقودين لا تبرح خيالى ..

لست عنصرًا مهمًا فى (زيفرا) .. إن الرتبة (99 Ø) متوفرة فلا توجد مشكلة هناك .. أنا قابل للاستغناء عنه .. ربما ما يميزنى فى (زيفرا) هو أننى أكثر واحد يمكن الاستغناء عنه ، وهذا ليس سببًا كافيًا لأن يجعلهم يستردوننى .. لكن كل شىء يقول إنهم فعلوا .. على أن أصدق هذا ..

ماذا أفعل ؟

لو كانت معى مؤشرات (نافا) لأطلقت الإشارات من حولى ، وليعرف الجميع أين أنا ..

إن معى سلاح (زيتا) لكنه سيحدث قدرًا هائلاً من الخراب من حولى .. لا يمكن أن أضحى بمليون من تلك الكائنات التعسة لمجرد أن أطلق إشارة يستدل بها قومى علىّ ..

وهكذا عدت إلى الفراش مهمومًا ..

رحت أرمق الضوء الخافت القادم من الشارع ، وقلت لنفسى : إن هذا هو حالى بالذات .. ظلام تام لكن ضوءًا خافتًا قد بدا يتضح .. وهذا على الأقل يسلينى يومًا آخر ..

* * *

12

إن التعود يقتل الرعب .. يقتل الغرابة .. يقتل القلق .. هكذا يقولون على الأقل ..

لكننى فى كل غروب أقف وأرمق الأفق الشرقى حيث تلتمع النجمة الأولى ، وأتساءل : كيف ؟ ما الذى جاء بى إلى هذا الكوكب الغريب المزعج ، الذى يسمونه الأرض ؟

* * *

فى الصباح ذهبت إلى عملى ..

كان الكائن مرهقًا لكنه يحاول التماسك ، وكان الكل راضين عنى مما أشعرنى بأن مستقبلاً لا بأس به ينتظر هذا الكائن هنا .. لكنه مستقبل لا أريده ببساطة ..

دخل أحد الكائنات الذين هم رفاقى فى (التطهير) وقال وهو يشعل أنبوب عادم من التى عرفت أن اسمها سجائر :

ـ « أنت تحقق نجاحًا مستمرًا .. بالمناسبة .. النيابة تطلب أقوالك فى القصة إياها .. »

ـ « أية قصة ؟ »

ـ « لصوص الفيلا فى الزمالك .. قبل الحادث مباشرة .. »

ودفن ما تبقى من العادم السام فى إناء معدنى وقال :

ـ « رفض الأطباء فى المستشفى السماح لك بالكلام ، وقد حاولنا تأجيل الأمر كله حتى تشعر بأنك على ما يرام .. »

ـ « سأفعل .. »

هنا نظر إلىَّ وابتسم فى خبث :

ـ « بالإضافة إلى نجاحك ، بدأت تلعب دور فاتن النساء .. المتزوجات هذه المرة ! »

لم أفهم عم يتكلم .. وعلى كل حال قد علمتنى التجارب ـ القاسى بعضها ـ أن هؤلاء القوم يمزحون كثيرًا .. يمزحون كثيرًا جدًا وأكثر مما تتحمل الأمور فى الواقع .. لا تأخذ كل كلمة بمعناها الحرفى وإنما كن حذرًا ..

سألته بصوت محايد :

ـ « أى نساء تعنى ؟ »

هز رأسه كمن يطيل ترقبى ، وقال :

ـ « إنها تلك المرأة .. التى كانت تقيم فى الفيلا .. يقول اللصان إنهما هاجماها ويقسمان على ذلك .. لكن أى وزن لقسم اللصوص على كل حال ؟ لقد كان الرجلان تحت تأثير المخدرات وحسبا أنهما رأياها ، بينما هى لم تكن فى الفيلا أصلا ساعتها .. على كل حال هى هنا وتسأل عنك ! »

رفعت رأسى فى توتر ..

المرأة التى اتخذت أنا صورتها حتى ظن زوجها بها الظنون .. كنت أحسب قصتها انتهت بلا رجعة .. لكنها تطاردنى كما هو واضح ولا أفهم لذلك سببًا ..

رأى حيرتى فقال متهكمًا :

ـ « أنت تجيد لعب دور الملائكة .. »

الحقيقة أننى كنت ملاكًا فعلاً .. والملاك صفة تلصق بالأبرياء هنا .. لكن المشكلة على هذا الكوكب أنه لا أحد يصدق أنك لاتفهم فعلاً .. إنما يعتقدون أنك تتظاهر بذلك ..

أردف الكائن :

ـ « المرأة طلقت من زوجها بعد خلافات طالت .. ماذا تفعل بعد هذا ؟ تبحث عن الضابط الوسيم الذى أنقذ دارها من المتسللين ، وكاد يموت فى أثناء رحلة العودة .. لماذا ؟ هل عندك تفسير ؟ »

قلت بطريقة ميكانيكية :

ـ « ربما لتشكرنى .. »

ـ « هذا هو بيت القصيد ! المرأة ـ التى هى رائعة الجمال ـ بالخارج تريد مقابلتك لتشكرك .. »

ثم حرك يده أمام وجهه بتلك الطريقة التى يحيى بها رجال التطهير بعضهم البعض بها ، وغادر الغرفة .. بعد دقيقة وجدت المرأة تدخل ..

لم أتذوق بعد ملامح سكان هذا الكوكب .. لكنى بدأت إلى حد ما أفهم أن هذا جميل عندهم وهذا قبيح .. بنفس الطريقة التى تبدو بها سحالى (مارافا) متشابهة قبيحة لى ولك .. لكن بعد فترة يتعلم مربى السحالى أن يميزها من بعض ، وأن يصف بعضها بالجمال ..

لابد أن هذه المرأة جميلة بمقاييس هذا الكوكب .. وإن كنت لا أطيق رائحتها .. هذه الروائح الخانقة التى تستعملها النساء على هذا الكوكب لسبب مجهول .. تذكرنى بأنفاق الفضلات عندنا ..

وخطر لى كم ستدهش هذه المرأة لو عرفت أننى كنت هى يومًا ما .. كنت هى إلى حد أننى خدعت زوجها ذاته ..

جلست باسمة وقالت وهى تنظر لى فى فضول :

ـ « جئت لأشكرك ياسيدى .. »

قلت فى ارتباك :

ـ « لقد قمت بواجبى .. »

ـ « لم يكن واجبك أن تموت وأنت تدافع عن أمتنا .. »

ـ « لكنى لم أمت .. »

ـ « كدت .. »

ثم همست وهى تنظر إلى يدها فى ارتباك :

ـ « الحقيقة أننى لا أشعر براحة فى هذا المكان .. كل هؤلاء المجرمين وكل هذه الأصفاد والأسلحة .. ليست من الأشياء التى تناسب طبيعة حساسة مثلى .. هل يمكن أن نلتقى فى مكان أكثر هدوءًا ؟ »

كنت أكره هذه العادة لدى أهل الكوكب .. عندما يلتقى النوعان الجينيان ليقولا كلامًا فارغًا .. ويختاران لهذا مكانًا هادئًا .. أحيانًا يتبادلان الورود والخطابات وأشياء غريبة جدًا لا يمكن أن أفهمها .. لا يمكن لأى واحد من عالمى أن يفهمها ..

تململت بشكل واضح ، فقالت مناشدة :

ـ « أرجوك .. الأمر مهم ولن يستغرق إلا دقائق .. صدقنى .. »

كما قلت كنت أتصرف ببراءة .. وقد افترضت أنها ما دامت وصفت أسبابها بأنها مهمة ، فإنها لن تجرؤ على ألا تكون الأسباب غير مهمة .. وفيما بعد عرفت أن الكائنات طويلة الشعر حين تتكلم عن شيء مهم فهى تعنى أنه مهم بالنسبة لها وليس للآخرين ..

وهكذا ضربت لها موعدًا وحددت هى المكان الهادئ .. أو الذى أعتقد أنه هادئ ..

* * *

فى الموعد وقفت أنتظرها ..

أخيرًا وصلت المركبة الحمراء التى يبدو أنها ظفرت بها بعدما انفصلت عن زوجها ..

كنا فى الريف خارج المستعمرة التى يسمونها القاهرة .. لايوجد شيء على مرمى البصر إلا مساحات شاسعة من الخضرة ، وثمة جسم مثلث يقف شامخًا ، وقد عرفت أن هذه الأجسام مختصة بتوليد الكهرباء أو تقويتها لا أعرف بالضبط .. لكنها أجسام يجدر الابتعاد

عنها على كل حال .. الليل يقترب وحاجتى إلى الرؤية الليلية تتزايد ..

ترجلت من السيارة وكانت تضع على عينيها نظارة سوداء ..

سألتنى وهى تغلق الباب :

ـ « هل تأخرت عليك ؟ »

ـ « بالعكس .. أنت دقيقة كالأيونات .. »

ضحكت كثيرًا فى دلال ، وقالت :

ـ « يا لكلماتك العجيبة ! زملاؤك قالوا إنك تستعمل هذه الألفاظ طيلة الوقت .. كأنك .. كأنك من عالم آخر .. »

كنت قد اعتدت هذه العبارة فلم تعد تؤثر فىّ أو تربكنى ..

قالت وقد لاحظت ارتباكى :

- « كان هذا هو مخطط عملى منذ جئت إلى هنا .. »

مخطط ؟

- « أى مخطط ؟ »

ابتسمت بينما الليل يصبغ وجهها بلون أزرق بارد محايد :

- « فى البداية هبطت فى نفس الموقع الذى هبطت أنت فيه .. عرفت كل شىء عن الزوج والزوجة دائمى الشجار .. لم تكن أنت أحدهما .. وإن خمنت أنك كنت الزوجة لفترة ، لأن الزوج يتحدث عن تغيرات رهيبة فى شخصية امرأته جعلته يعتقد أنها مصابة بمس .. ثم عرفت عن اللصين والشرطة .. لماذا اعتدى أحد اللصين على الآخر من دون سبب ؟ وعرفت عن الضابط الذى تعرض لحادث مروع .. تقمصت شخصية الزوجة ورحت أفتش عنك فى كل مكان .. تتبعت كل خيط ممكن .. وفى النهاية قادنى البحث إلى ضابط

شاب بدأ يتكلم بأسلوب غريب كأنه من كوكب آخر .. فلماذا ؟ اليوم قابلتك للمرة الأولى ، وكانت هالة (099) تشع منك بوضوح تام .. لقد تأكدت من أنك العميل (#### 99 Ø) .. عميلنا الذى جئت من أجله ! »

* * *

13

صحت فى فرح وأنا أرتجف :

- « أنت من أرسلوه ! »

وجثوت على ركبتى لأن الفرحة كانت تمنع الكائن من الاحتفاظ بثيابه ..

قالت المرأة التى لم تعد كذلك :

- « كلانا فى وضع الإحلال الآن .. ولو غادرنا هذين الجسدين لوجدنا أحمقين يرمقاننا غير فاهمين .. لكننى على كل حال سأترك هذا الجسد الآن .. »

وفى اللحظة التالية فتحت المرأة عينيها .. بدا عليها الغباء وعدم الفهم .. نظرت لنا لوهلة ، ثم تهاوت على الأرض فاقدة القدرة على التماسك .. إن شعور الكائن لحظة أن يفارقه الواحد منا ، ليشبه كثيرًا شعور الروبوت الذى انتزعت منه الوحدة الحسابية المنطقية .. إنه يتهاوى على الأرض ويفقد وعيه ..

لكنى لم أعطها اهتمامًا كبيرًا لأننى وجدت أمامى من كان بداخلها ..

الصيف القادم من (زيفرا) ليعيدنى ..

الأمل الذى انتظرته فى شغف كل هذا الوقت ..

كان من الرتبة (077) ..

* * *

ككل أفراد الرتبة (077) كان طويل القامة .. ربما أطول منى مرتين .. وكانت مخالبه المكهربة تصدر أزيزًا وهى تتدلى إلى جواره لاتكف عن الفتح والغلق .. ومخه العارى المتضخم تسيل منه الإفرازات لتبلل وجهه .. وكانت عينه الفسفورية الوحيدة تضىء المنطقة حولنا .. أما أنيابه فكانت تمزق شفته السفلى .. ومنذ هذه اللحظة كففنا عن الكلام وبدأنا فى التخاطر ..

قلت له وأنا اتراجع للوراء :

- « أنت (077) .. لماذا ؟ »

قال وهو يتقدم منى :

ـ « أنت تعرف يا (### 99 Ø) .. لقد أصدر (سيجورا) الأعظم الأمر النهائى .. »

ـ « لكن لماذا ؟ أنا لم أقترف ذنبًا .. هناك كثيرون غيرى لم يستطيعوا العودة .. »

ـ « ليس وفى حوزتك سلاح (زينا) أهم أسلحتنا .. وليس وأنت تعرف أن (سيجورا) أخطأ .. إن من يعرف أن (سيجورا) أخطأ لا يعيش مسيكة واحدة أخرى .. »

وداس على المرأة وهو يتقدم فسمعت صوت عظامها تتهشم .. البائسة ! أنا مثلها بالضبط .. إن الرتبة (077) هم قتلة كونيون لا يملكون ذرة من الرحمة .. ومهمتهم هى الإبادة الجزيئية للمغضوب عليهم من (سيجورا) الأعظم .. وليست لهم هالة مميزة ولا يمكن سماع أفكارهم ، لهذا لم أشك لحظة فى تلك المرأة التى استخدمت مرتين .. إن لهم رائحة نفاذة مميزة



لكنى لم أعطها اهتماما كبيرا ؛ لأننى وجدت أمامى من كان بداخلها ..

وهذا ما يفسر سر العطر الفواح الذى كانت المرأة تستعمله ..

هذا هو سر الحماسة الرهيبة التى دفعتهم لإرسال من يأتى بى .. لم يكن هذا تشبثًا بى بل هى حاجة (سيجورا) الأعظم إلى تصحيح أخطائه باستمرار ..

ـ « أين سلاح (زيتا) يا (#### 99 Ø) ؟ »

ـ « عليك أن تجده .. »

كانت هذه ورقتى الرابحة الوحيدة .. قلتها ....

ثم أطلقت ساقى للريح .. جريت نحو المحطة العملاقة وأنا أعرف أن جسد الضابط برغم قوته هش .. لايحتمل صراعًا مع (077) .. الحقيقة أن (077) هم الشىء الوحيد القوى جسديًا فى (زيفرا) .. ويقال إن تركيب جيناتهم سرى لايعرفه سوى (سيجورا) الأعظم نفسه ..

وانطلقت الطلقة الأولى من سلاح (ويبر) لتحرق العشب من حولى ..

جريت فى خط متعرج ، وأنا أعرف أن القاتل سيظفر بى فى النهاية .. إنهم لايخسرون أبدًا ..

الطلقة الثانية مرت بجوار رأسى وشعرت بها تحرق شعر الكائن ، ثم ارتطمت بالمحطة فتناثر الشرر فى كل مكان ..

الطلقة الثالثة أصابت الأسلاك أو الكابلات فهوت على الأرض وراحت تبصق الشرر وتتلوى كأنها ثعابين (بلجور) الجائعة ..

تواريت وراء المحطة ورحت ألهث ..

إن الموقف مرعب .. لايمكن الانتصار على هذا الشىء أبدًا .. إلا إذا .....

هذه الكابلات ..

أسمع لهاثه وهو يتقدم نحوى على ساقيه القويتين ، ويبدو أنه يعد السلاح للطلقة القادمة ..

مددت يدى إلى غصن شجرة هناك ، وهشمته إلى نصفين .. استخدمت النصفين كأنهما ذراعان أمسكا

بطرف الكابل المقطوع الساقط على الأرض يتلوى .. لا أريد أن أصعق قبل أن أقوم بمهمتى ..

الآن هو يدور حول المحطة والطلقة القادمة هى الأخيرة على الأرجح ..

هنا فقط وثبت خارجًا من مكمنى ودفنت طرف الكابل المقطوع فى وجهه ..

تطاير اللهب فى كل صوب ولم أدر إن كان أطلق سلاحه أم لا لأن التأثير واحد ..

فقط تلوى جسده وعوى بصوت اهتزت له الحقول ، ثم اشتعلت النار فى جسده .. وتراجع إلى الوراء .. سقط على الكلأ وتلوى للحظات ثم انفجر ..

وانفجار واحد من رتبة (077) ليس خبرة جميلة أو سارة لكنه حدث ..

ووقفت ألهث على بعد أمتار وسط جحيم من الكابلات الملتوية والنيران والانفجارات الصغيرة ..

لقد نجوت .. نجوت ..

ثم إننى انفجرت بالبكاء كالأرضيين ..

هذه هى المساعدة التى لم يجد (سيجورا) خيرًا منها لى .. أرسل من يدمر جزيئاتى .

لكنى مازلت واثقًا من أن هناك خطأ ما ..

(سيجورا) الأعظم يعرف .. يعرفنى .. يعرف نواياى ..

مازالت آمل فى أن أعود وأشرح له كل شىء ..

* * *

فى الصباح بدأت أشعر بأن هذا الكوكب يحتاج إلىّ .. كوكب تعس هو .. ضعيف بدائى .. وأنا هنا بما أملكه من حضارة (زيفرا) .. ليس لدى إلا أمل واه فى العودة .. فلماذا لا أساعد هؤلاء البؤساء؟ مازال لديهم قتلة وسفاحون ومجرمون ولصوص .. ولا أرى مايشين فى أن محاربة هؤلاء بأساليبى دون أن يعرف أحد حقيقتى .. كيف لو عرفوا ؟؟؟

اتصلت بى (إيناس) وقالت إنها نادمة على غلطتها معى .. فأنا مازلت فى مرحلة النقاهة ، و«ليس على المريض حرج» .. الحق أننى لم أعد أخشاها بنفس القدر .. ربما أستطيع فهم ما يحمله لها الضابط مما يسمونه حبًا .. فهم تلك الجاذبية التى تصر على توحيد النوعين معًا لتكوين ذرية .. لكننى لا أجرؤ على الزواج .. لا أستطيع .. دعك من حقيقة أخلاقية مهمة : أنا لست خطيبها الحقيقى ..

* * *

أنا الضابط (هانى عباس) .. شاب وسيم واعد كما يقولون .. يجيد محاربة الجريمة وقد بدأ نجمه يسطع .. له خطيبة تهيم به حبًا وليست له أسرة .. سأظل هكذا وسألعب هذا الدور كل صباح ..

لكنى بالنسبة لنفسى سأظل دومًا العميل (#### 99 Ø) الذى أرسله متكامل الدوائر (سيجورا) الأعظم إلى كوكب (هيسا) لدراسة قابليته للاستعمار ..

أحمل سلاح (زيتا) الرهيب ، وربما أستعمله يومًا ما .. لكن لن يكون هذا ضد أهل الكوكب الأبرياء السذج ، بل لحمايتهم .

ستكون أمامى صراعات عاتية ، ولسوف أجابه معارك شرسة .. لكننى سأنتصر دومًا لأننى الأفضل والأذكى والأكثر تقدمًا .. إن أهم صفحات مذكراتى لم تكتب بعد ..

هذا كل ما أريد منكم يا قوم (زيفرا) أن تعرفوه .

* * *



انتهت الرسالة يا (ريم) ...

لا أدرى إن كانت قد راقت لك أم لا .. لا أدرى إن كنت قد صدقتها أم لا .. لا أدرى إن كنت فهمتها أم لا ..

لكننى فى كل الأحوال أردت أن أقدم لك بعض التسلية .. ويومًا ما سيعتبرنى الناس أعظم مغامر عرفه التاريخ منذ السير (والتر رالى) .. أو أعظم كذاب عرفه الأدب منذ البارون (منخاوزن) ..

لايهم .. سأكون فى القبر وقتها لا أعرف حرفًا عن هذا كله .. المهم أن أكون قد منحتك بعض التسلية ، وأن أكون قد كشفت لك عن جزء غامض من هذا العالم لم ترتده بعد ..

على كل حال مازال الجواب سهلاً .. يمكنك أن تبحثى عن ضابط صغير السن اسمه (هانى عباس) له خطيبة اسمها (إيناس) .. هناك احتمال لابأس به أن يكون هو الشخص المقصود ..

لكننى لا أنصح بالتجربة .. أولاً سوف ينكر الأمر بشدة .. ثانيًا لا أضمن ألا يحاول الخلاص منك .. أعرف أنه لايهوى القتل ، لكن يمكنه أن يحل فى جسدك للأبد ، ويترك أهلك حائرين بين عيادات الأطباء النفسيين الذين يتكلمون عن الفصام والمشعوذين الذين يتحدثون عن المس ، وأطباء أمراض الدم المسنين الذين يتحدثون عن كائن متوحد قادم من الفضاء ..

إن الفتى محاصر ، ولا سبيل له إلا أن يستمر فى عالمنا ويفعل ما نفعله .. وهو لن يحب أبدًا من يرغمه على بدء تجربة جديدة مع قوم آخرين ..

أرى أن عينيك احمرتا من السهر ، وأن الإرهاق تسرب إلى ردود أفعالك ..

لهذا أقول لك : تصبحين على خير ، وغدًا أحكى لك قصة جديدة ..

ملك الذباب .. هل سمعتها من قبل ؟ كلا .. لا أتحدث عن رواية (وليام جولدنج) الرائعة (إله الذباب) والتى رشحته لنيل جائزة (نوبل) .. قصصى أنا قد تكون جيدة لكن ليس إلى حد (نوبل) طبعًا ..

هل تعرفين ملك الذباب ؟ هل تعرفين الظروف التى جعلته ملكًا للذباب ؟

إذن اسمعى لما أقول .. إن الرجل الذى ....

ولكن هذه قصة أخرى .

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية للجيب


د. أحمد خالد توفيق

أسطورة (99###@)

يقولون : إن التعود يقتل الرعب .. يقتل الغرابة .. يقتل القلق .. هكذا يقولون على الأقل ..

لكنى فى كل غروب أقف وأرمق الأفق الشرقى ؛ حيث تلتمع النجمة الأولى ، وأتساءل : كيف ؟ .. ما الذى جاء بى إلى هذا الكوكب الغريب المزعج ، الذى يسمونه الأرض ؟



الثمن فى مصر ٢٥٠ ﻫ
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم :
أسطورة ملك الذباب